# الباب الثانى

## الفصل الأول

### سمات الشخصية المحاربة :-

من الأمور المتعارف عليها لدى علماء النفس أن الشخصية تتنوع إلى أنماط عديدة ، ولكل نمط سماته المميزة عن غيره . وأن للنوع أثراً فى تكوين الشخصية وسلوكها وكذلك للبيئة التى يتكيف فيها الإنسان وفق قواعدها ونظمها وطبقاً لنوع العمل الذى يمارسه الفرد ومتطلباته إن كان فى محيط ضيق أو فى مساحة واسعة من التكتلات البشرية . كما بينوا أن للثقافة أثراً كبيراً فى تكوين شخصية الآدمى وطباعه . واجمعوا على أن كل نوع من الشخصيات المتعددة متباين فى صفاته عن الأنواع الأخرى . ويمكن أن يكون لكل سماته التى توقف عليه دون غيره .

وليس من مضمون هذا البحث أن يتعرض الباحث لكل أنواع الشخصية فى المحيط الإنسانى . ولكن سيقصر الحديث على الشخصية المحاربة حتى يستطيع أن يتمثل صفاتها الذاتية فيما كان عند محاربى العصر الجاهلى من الذين أحاط بهم شعراء عصرهم وتناولوهم فى نظمهم . وحتى نتبين مدى ملاءمة تلك الشخصية لما أنيط بها قديماً من معاركة مستمرة وقتال طاحن فى كل أنحاء القبائل ولم تكن عندهم هيئة حربية مخططة لاختيار المحاربين

أو غرفة عمليات حربية منها تدار كل المعارك . ولكن كان سلوكهم الفطرى واستعدادهم الفكرى وبراعتهم القتالية وحسن تدبرهم وبعدنظرهم تغنيهم عما ألفناه اليوم فى الحروب المنظمة من خطط مرسومة وأبعاد للمعركة معلومة .

يقصد بالشخصية النظام الكامل من النزعات الثابتة نسبيا ، الجسمية والنفسية ، التى تميز فرداً معيناً ، والتى تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المادية والإجتماعية . (١)

ومعنى هذا التعريف أن هناك عنصرين هامين فى تكوين شخصية الفرد وهما السمات الجسمية والدوافع النفسية ، وكلاهما يعبر بأسلوب يختلف عن الآخر من حيث سلوك الفرد تجاه المجتمع الذى يتفاعل معه ويعايشه .

فمن منحه الله بسطة فى الجسم وقوة فى العضلات يستطيع أن ينظر اليه الناس للوهلة الأولى على أنه عملاق مخيف ومحطم لغيره من الناس على أعتبار أنه يمكن أن يستفيد من تلك الصفات الجسمية ، وعلى العكس من ذلك يكون موقف القزم أو النحيف فيهمله من يراه فى أكثر الأحيان إن لم يكن معظمها وعليه أن يثبت ذاته بما وهبه الله من معنويات أخرى كامنة فيه حتى يستطيع أن يعايش مجتمعه بشكل لايقلل من قيمته أو يورثه احتقاراً أو إهانة .

وكذلك الحال فيمن حباه الله هدوء نفسيا وبعد نظر وحسن تفكير فهو دائما فى مكان الصدارة من الناس ، يلجأون اليه لحل مشاكلهم بفطنته وبعد نظره وثاقب رأيه . ومنهم من خفت عندهم المقاييس النفسية فى حسن

---

(١) علم النفس التربوى ١ / ٣٢

التصرف أو التحكم فى سلوكه الإندفاعى . أو اللامبالاة وضيق الأفق أو البلاهة فى التفكير . وهؤلاء يمكن أن يطلق عليهم «مرضى نفسيون» لا يمكن أن يعتمد عليهم فى تدبير حتى أمورهم الذاتية . وهم فى حاجة . إلى من يساندهم ويرشدهم دوماً إلى الصواب فى تصرفاتهم فى كثير من الأحوال .

وقد صنف علماء النفس الصفات الخلقية فى تحديد الشخصية إلى مايلى

أولا : نظرة الشخص لنفسه ولغيره ، ومايتبع ذلك من حب الظهور والغرور أو التواضع . ولوم النفس أو لوم الغير .

ثانيا : الشجاعة والإقدام ضد الجبن والإحجام ومايتبع ذلك من حب المخاطرة والتحمس والاعتداد بالنفس .

ثالثاً : النشاط والحيوية ومدى مالدى الشخص من طاقة فعالة ومايتبع ذلك من التحمس والمثابرة وبذل الجهد .

رابعا : البوهمية وعدم النظام والفوضى أو العمل على اسس وخطط موضوعة ومايتبع ذلك من وجود فلسفة خاصة عند الشخص ومدى انسجام أهدافه وأغراضه .

خامسا : صفات القوة الجسمية والصحة العامة ومايتبع ذلك من احتمال المشاق وصبر على مواجهة الصعوبات والتركيز والإقبال على العمل مدة طويلة .

سادسا : الاندفاع وراء الرغبات الحاضرة وعدم تقدير العواقب أو بعد النظر والعمل للمستقبل .

سابعا : مدى شعور الشخص بالرضا بما هو فيه ومايتبع ذلك من القناعة

أو الطموح والمحافظة على عدم التغيير أو التبديل . (١)

وإذا كانت هذه هى خلاصة صفات الشخصية كما يراها علماء النفس فلنا أن نعرض هذه المقاييس النفسية على مائدة الشعر الجاهلى لمعرفة مدى مطابقتها أو اختلافها على محاربى ذلك العصر وفق مانظمه الشعراء عنهم.

إن الحياة العسكرية فيما تتميز به من صلابة وخشونة وبما تتناول من أعضائها الجدد من تغيير وتطوير لكى تحولهم من الطابع المدنى إلى الطابع العسكرى إنما هى حياة ضاغطة . كفيلة بأن تعرض تماسك الشخصية وتكاملها باضطراب بالغ إن لم تكن له بها إتزان انفعالى ومرونة تكيفية يجعلانها تواجه موقفها الجديد مواجهة سليمة . أضف إلى ذلك أن شدة الضغط هذه تبلغ أشدها فى المواقف التى تتطلبها بعض المهام العسكرية خاصة وقت المعركة حينما يتعرض كيان الشخصية وسلامتها للخطر وتثور صراعات نفسية بين الرغبة فى الفرار طلبا للأمن أو البقاء تأدية للواجب أو خوفا من العقاب أو العار يهتز بناؤها واتزانها وتصير عرضة للتفكيك والانهيار (١)

إن هذه الشخصية العسكرية التى عناها علماء علم النفس العسكرى وجدت بأبدع صورها واوضحها فى الشعراء الفرسان فى العصر الجاهلى والذين خاضوا المعارك الضارية وابلوا بلاء حسناً . فما وهنو لما أصابهم وما ضعفوا امام قوة العدو وعدته وما استكانوا إلى الفرار . ولكن كان همهم الثبات حتى الموت ، والدفاع حتى آخر قطرة دم . والهجوم حتى آخر عضلة تتحرك . واعتبروا انفسهم سدود أمنيعة عن زملاء السلاح حماية

---

(١) المصدر السابق ٢٢٨ .

(٢) علم النفس العسكرى ٢٤ .

لهم فى كل المواقف . فكانوا يحتلون الصفوف الأولى معلنين عن أنفسهم بل وينادون أبطال الأعداء للنزال حتى يحمى وطيس المعركة وتدور رحاها ويثار النقع وتلمع الأسنة وتتراقص الخيول مدافعة مهاجمة متقدمة وعليها الشجعان الأشاوس مثل عنترة العبسى الذى عبر عن هذه الصورة أرق تعبير .

فشخصيته شخصية المحارب التى تتسم بالبأس والشدة وضراوة القتال والثبات فى المواقف الصعبة التى يفر منها الكثيرون ، واقدامه اقدام الواثق من ذاته المتمكن من طعنه ومحاربته ، ونظرته مخيفة كسلاحه . وفكره دائما متقد يرتب الخطوات التكتيكية فى الحرب فلا يشذ منها شئ ولا يقدم ما يجب تأخيره أو يتخلى عن الصحاب وقت العسر أو ينزلهم منزلا فيه تهلكة لهم . وثقته بنفسه لا حد لها حتى هابه الناس جميعا وعلموا انما يقاتلون كتيبة لا فرداً وحيداً . وسمعته الحربية قد ملأت قلوب الأعداء رهبة وفزعا .

ومما عبر به عن تلك الشخصية المتكاملة نفسياً فى مواقف الحرب العديدة ما أثار به رعب الأعداء حين قال :

إنى لأعجب كيف ينظر صورتى ... يوم الطعان مبارز ويعيش

وقوله معبراً عن خفة تنقله بين جنود الأعداء فى المعركة الدائرة :

أنا فى الحرب العوان ... غير مجهول المكان
أينما نادى المنادى ... فى دجى النقع يرانى

وقوله عن شدة بأسه وجسارة قلبه :

خلقت من الحديد أشد بأساً ... وقد بلى الحديد وما بليت

وقوله عن حواسه التى تطرب ساعة الحرب وتنتشى بعدته :

أطيب الأصوات عندى حسن صوت الهنوانى
وصليل الرمح جهراً فى الوغى يوم الطعانى
فاسمعانى نغمة الاسيا ف حتى تطربانى

وقوله فى شدة بأسه وخوف الناس منه ومن قومه فى الحرب : (١)

ومازالت صوارمنا جداداً تقد بها أنا ملنا الحديدا
ملأ نا سائر الأقطار خوفاً فأضحى العالمون لنا عبيدا

وكذلك قوله : (٢)

وأصبح من يعاندنى ذليلا كثير الهم : لايفديه قادى
يرى فى نومه فتكات سيفى فيشكو مايراه إلى الوساد

وأنه كتيبة متحركة لايهاب الجيوش بمفرده تعبيراً عن ثقته بنفسه قول (٣)

فلا تحسبو أن الجيوش تردنى إذا جلت فى أكنافهم بحمانى
دعوا الموت يأتينى على أى صورة أتى لأريه موقفى وطعانى

ويرسم لنا صورة مخيفة تفزع من يعيها فى موقف الحرب فما بال من رآه عليها دوماً فهو الموت الأسود بكل أحزانه وفتكه وإهلاكه (٤)

والخيل تعلم والفوارس انى شيخ الحروب وكهلها وفتاها
وأنا المنية وابن كل منية وسواد جلدى ثوبها ورداها

---

(١) ديوان عنترة ١٢٣ .
(٢) المصدر السابق ١٢٢ .
(٣) المصدر السابق ٢٢٨ .
(٤) المصدر السابق ٢٣٧ .

وما أبدع افصاحه النظمى عن شخصيته العسكرية فى مواقف الحروب ومهمته الصعبة فى الحفاظ على كيان قبيلته بعدته النفسية وقوته الحربية حيث قال . (١)

خلقت للحرب أحميها إذا بردت ... واصطلى نارها فى شدة اللهب
بصارم حينما جردته سجدت ... له جبابرة الأعجام والعرب
وقد طلبت من العلياء منزلة ... بصارمى لا بأمى لاولا بأبى
فمن أجاب نجا مما يحاذره ... ومن أبى ذاق طعم الحرب والحرب

**أ - ذات ديناميكية دائمة : :**

وإذا كانت الشخصية عبارة عن مجموعة نزعات موجهة نحو هدف معين أو أهداف معينة . فإنها وحدة ديناميكية ، بمعنى أنها كل متحد لاينفصل تصدر منه آثار معينة فى البيئة التى توجد فيها ، وهذه الآثار هى مايطلق عليه السلوك الحيوى ، فالسلوك الحيوى يصدر عن شخصية واحدة متكاملة ذات تأثير « ديناميكى » فى المجال الذى توجد فيه . هذا المجال السلوكى هو الحيز المحيط بالذات . وتظهر فيه آثار قوى هذه الذات أو الشخصية ، من حيث أنها مزودة بقوى متحركة أو بنزعات موجهة فيما حولها وتتأثر بما حولها . (٢)

فإذا عرضنا هذا التعريف لأثر الشخصية المحاربة فى محيطها البشرى فى العصر الجاهلى وجدنا أن الشاعر البطل الذى كان يحسن استخدام أساليب

---

(١) المصدر السابق ١٠٢ .
(٢) علم النفس التربوى ١ / ٣٣ .

التشجيع وبث الحماسة والإقدام فى نفوس المحاربين يمكن أن يكون هو تلك الشخصية المتأثرة المؤثرة . فلم يكن فيهم أنانى يتحدث عن ذاته وإنما فى غالبيتهم كان الشعراء يتحدثون بضمائر الجمع . وإذا تحدث أحدهم منفرداً عاد إلى جماعته وانضم اليها وأضفى عليهم من الصفات العسكرية مانعت به نفسه أول الأمر . ومن هذه النقطة كان الانطلاق الذى يسير فى خط مستقيم فالجيش خلف قائده يأتمر بأمره ويسير وفق تعليماته . وهذه التعليمات هى وليدة السلوك الحيوى للشخصية المتكاملة التى عناها علماء النفس والتى أشاد بها شعراء ذلك العصر من قبل ، ولولا هذه الدعامات النفسية التى رسخت فى شخصية المحاربين فى العصر الجاهلى ماتحقق لهم النصر وما أشاد بذكرهم شعراء عصرهم ورفعوهم مكانا عليا بفضل ماحققوه من انتصارات .

فهذه نزعة الحرب يطلقها الشاعر قيس بن الخطيم حين رأى الامحاولة من محاربة القوم . وتعدل سلوكه الحيوى وفق الموقف الجديد الذى حاق به وبقومه . فكان لزاما عليه أن يهب معبرا عن هذا السلوك بقوله : (١)

وكنت امرأ لا أبعث الحرب ظالماً ... فلما أبوا اشعلتها كل جانب
أربت بدفع الحرب حتى رأيتها ... عن الدفع لاتزداد غير تقارب
فإذ لم يكن عن غاية الموت مدفع ... فأهلا بها إذ لم تزل فى المراحب

أما دينا ميكية عنترة وسلوكه الحيوى فى المعركة فيظهر جليا فى تحدثه عن نفسه كفارس متقدم . ومحمس لاتباعه من الرجال . ومرهب للعديد

---

(١) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٣٩٥ .

من فرسان عدوه . ومجلى لمكانة قومه عند القتال . فمن ذلك قوله : (١)

انى امرؤ من خير عبس منصباً شطرى وأحمى سائرى بالمنصل
إن يلحقوا أكرر . وإن يستلحموا أشدد وإن يكفوا بضنك أنزل
حين النزول يكون غاية مثلنا وبغير كل مضلل مستوهل
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من معم مخول

فهذا الشاعر يتحدث فى بطولة نفسية مغلفة بقوة حربية كيف يلتقى بالأعداء ويكشف عن شخصيته لهم أول الأمر غير هياب حتى يزرع الخوف والفزع فى نفوس اعدائه وحتى يكون مدداً للدفاع فى قلوب زملائه . ويبرز أن أمله من سلوكه الحيوى هذا هو النزول واللقاء الحربى والقتال حتى النصر وفرار العدو مهزوماً مدحوراً .

ومن حسن تعبير الشاعر عن الشخصية «الدنياميكية» والسلوك الحيوى ماوصف به قيس بن الخطيم (٢) كفارس ورجل حرب نفسه وزمرة القتال معه من قومه ضد كل من يلوح لهم بشر أويدعوهم لحرب . وهو يسير فى خطوات نفسية متقنة إذ يبدأ بوصف ذاته ثم يعرج على وصف جماعته . ويلتحم الوصفان كما التحم الجميع ليكونوا قوة ضاربة وعدة لاتقهر فليس كل من ملك سلاحاً وفرساً يستطيع الحرب ولكن كل من تمالك نفسه وملكته وحددت هدفه ودفعته بعزيمة وقوة شكيمة إلى كيفية إدارة المعركة وخوض غمار الحرب وحسن استخدام السلاح وإحكام قيادة الفرس . ذلكم

---

(١) ديوان عنترة ٢٤٨ .
(٢) موسوعة الشعر العربى - العصر الجاهلى - ٣٩٣ .

هى الشخصية «الديناميكية» التى عناها علماء النفس ووصفوا خوضها لمعارك بأنها كتيبة لاتغلب «وغرفة عمليات» لاتخطئ فى تقدير نتائج القتال .

وإنى فى الحرب الضروس موكل ... بإقدام نفس ماأريد بقاءها
إذا سقمت نفسى إلى ذى عداوة ... فإنى بنصل السيف باغ دواءها
منى يأت هذا الموت لاتبق حاجة ... لنفسى إلا قد قضيت قضاءها
وإنا إذا ماممتر و الحرب بلحوا ... نقيم باسباد العرين لواءها (١)
ونلقحها مبسورة ضرزنية ... بأسيافنا حتى نذل إباءها

فهذه وظيفته فى الحرب الطاحنة أن يكون أول من يقدم نفسه فداءاً ورمزاً للجهاد ودفع العدوان . وهذا مسلك الشخصية الحربية التى لاترهب الموت ولا تحسب للفرار حساباً . فكل وقته حركة وكل سلوكه ابتكار فى مضمار المعركة ينال من فرسان الأعداء مايشفى نفسه ولا يرهب الموت ويدفع قومه ان يسلكوا مسلكه حتى تكون وحدة اللقاء وحركة الدفع النفس والإقدام مجتمعة فيهم جميعا .

إن السلوك الحيوى للشخصية المحاربة يتضح بجلاء فى رأى الشاعر الجاهلى الأفوه الأودى فى رسم صورة البطل المحارب المقدام الذى يقدر للوغى قدرها فلايهابها إن اتسعت عليه ولاتخار عزيمته إن كتبت عليه امزيمة ، فثبات نفسه فى كل حال سلوك حيوى ونشاط نفسى متجدد لايوجد إلا عند كل من تحكم فى ذاته وكبح جماح نفسه وروضها على مسالك القوة ودروب الشجاعة (٢)

---

(١) بلحوا : أعيوا ، اسباد : الذئاب والدهاة .
(٢) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى — ٣٨٤ .

وما غمرته الحرب إنشمرت لـه ولا خار إذ جرت عليه الجرائر

أما الشاعر عمرو بن كلثوم فيرسم لنا صورة المعركة الطاحنة وتبدو فيها أمدرات السلوك الحيوى والحركة الدائبة للشخصية المقاتلة بجلاء . ولكنه يتحدث بلسان الجماعة المقاتلة ليعطى ملامح الصورة قوة الإقدام والتحفز الذى يرسخ فى النفوس متى كان أمراً جماعياً . فإن الفردية مهما عظم شأنها فى المعركة يمكن أن يستهان بها وذلك إدراك نفسى وبعد نظر من الشاعر . وكأنى به وقد جعل الأفعال فى الأبيات كلها متحركة كحركة النفس المتأججة للقتال والتحفز المستمر للمعاركة . (١)

نطاعن ماتراخى الناس عنـــا ونضرب بالسيوف إذا غشينـــا
بسمر من قنـا الخطى لـــدن ذ وابل أو ببيض يعتلينـــا
نشق بها رءوس القوم شقـــاً ونخلها الرقـاب فيختلينـــا
تخـال جماجـم الأبطـال فيها وسوقاً بالأماعـز يرتمينـــا
نحـز رءوسهم فى غـير بـــر فما يدرون مـاذا يتقـونـا
كـأن سيوفنا فينا وفيهـــم مخـايق بايـدى لاعبينـــا
كـأد ثيابنا منـا ومنهـــم خضـبن بـأرجـوان أوطلينا
إذا مـاعي بالأسناف حـــى من الهول المشبه أن يكونـــا
نصبنـا مثـل رهوة ذات حـد محـافظـة وكنـا السابقينا
بفتيـان يـرون القتـل مجـداً وشيب فى الحروب مجـربينـا

فخلاصة فكر الشاعر عن الشخصية « الديناميكية » فى المعركة أنها متنوعة جمعت بين جسارة الشباب وخبرة الشيوخ ويكفى أنهم دوماً فى

---

(١) انظر شرح المعلقات ص ٣٦٦ .

فى حركتهم النفسية قبل تحركهم الجسمى يصنعون سداً منيعاً وجبلا أشم يصعب على العدو اقتحامه . فهى حركة فى الصدور تغلى وتدفع حركة الأعضاء والأطراف للتقدم وتحقيق النصر .

كما يوضح الشاعر الفارس عنترة العبسى النشاط النفسى فى الشخصية المحاربة وكيف يمرس ذاته على اللقاء المرتقب مع العدو . وماذا يفعل الفرد وتفعل الجماعة لتحقيق مآربهم . فيصف لنا سلوك الجماعة تجاه احدى المعارك بقوله : (١)

إذا شئت لا قانى كمى مدجج ... على أعوجى بالطعان سامح
نزاحف زحفاً أو نلاقى كتيبة ... تطاعننا أو يذعر السرح صائح
فلما التقينا بالجفار تضعضعوا ... وردت على أعقابهن المسامح
وسارت رجال نحو أخرى عليهم الحديد كما تمشى الجمال اللواقح
إذا ماشوا فى السابغات حسبتهم ... سيولا وقد جاشت بهن الأباطح
فأشرع رايات وتحت ظلالها ... من القوم ابناء الحروب الفراجح
ودرنا كما دارت على قطبها الرحى ... ودارت على هام الرجال الصفائح

ان هذا السلوك فى تلك الأبيات يدل دلالة قاطعة على تأثير شخصة عنترة فى قومه . وهذا مايعنيه علماء النفس بقولهم فالسلوك الحيوى صادر عن شخصية واحدة متكاملة ذات تأثير «ديناميكى» فى المجال الذى توجد فيه .

فشخصية عنترة مزودة بقوى محركة ونزعات موجهة إلى من يحيط به

---

(١) ديوان عنترة ٢٩٨ .

ومؤثرة فيهم . ولهذا فقد بدأ بوصف ذاته مفرداً ثم عرج على وصف جماعته فى تكتل نفسى وحركة معلومة تدل على وحدة الشخصية المقاتلة التى تتمتع بكل مقومات النفس الحيوية الحركة فى أشد حالات القتال .

ويمكن القول فى اطمئنان أن الشعراء فى العصر الجاهلى سواء منهم الفرسان أو من كانوا يؤدون دور المحسنين تمتعوا «بديناميكية» نفسية تامة فى تحريك الألفاظ والأحاسيس حتى عبروا عن الذات المؤثرة بجملة سلوكها الحيوى فى الجماعة وأحاطوا بكل دقائق المواقف القتالية وكأنهم أرادوا نقل الصورة الحركية دوماً على مرور العصور لكل من يقرأ لوحات الشعر الجاهلى ويتعمق فيها من الأبعاد النفسية التى كانت تفيض فى نفوس الشعراء حماسة واقداماً وانطلاقا واقتحاماً . فلم يكن الشعراء يطلقون لإلسنتهم التعبير عما يجيش فى صدورهم فحسب بل استطاعوا استمالة القارئين لنظمهم أن يثبوا معهم وثبة قتالية بما أعتملت به نفوسهم من احساس بحقيقة الموقف ودقة تصويره . ولا يمكن أن يتأتى ذلك بصدق وعمق وبعد نظر إلا عن تجربة عاناها الشعراء أو لمسوها بحواسهم الدقيقة فكانت «ديناميكية» الألفاظ خير معبر عن «ديناميكية» الشخصية : وانطلاق السلوك الحيوى بشعور فياض يخلق صدق القول والإبداع فيه .

**ب — ذات نواحى مزاجية خاصة :**

وإذا تعرضنا للبحث عن مكونات الشخصية المحاربة كما ظهرت فى أمارات الشعر الجاهلى وجدنا انها تنطبق إلى حد كبير مع مانص عليه علماء النفس التربوى والعسكرى فهى شخصية ذات نواحى مزاجية معينة وسمات سلوكية فريدة . ويقصد بالنواحى المزاجية الاستعدادات الثابتة

نسبيا المبنية على مالدى الشخص من الطاقة الإنفعالية والدوافع الغريزية التى يزود بها منذ بداية طفولته والتى تعبر وراثية فى أساسها . ولذالاتتغير كثيرا طول حياته والتى تعتمد على التكوين الكيميائى والعددى والدموى وتتصل اتصالا وثيقاً بالنواحى الفسيولوجية العصبية والتى تظهر فى الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر فى الدوافع والغرائز والانفعالات من حيث سرعة استثارتها أو بطئها . ومن حيث قوتها أو ضعفها ومن حيث قابليتها للبقاء أو الزوال أو التغير . (١)

فلو عرضنا هذه السمات فى شخصية الفارس الشاعر عنترة وجدنا أن عنده استعدادات ثابتة لطاقة انفعالية نمت معه منذ طفولته فصار جسوراً مقداماً قويا كالجبال الراسية بعزيمة لاتقهر حتى ظن فى نفسه أنه يستطيع أن يفتك بالأسود الضارة ويحقق ماتصبوا اليه نفسه دوماً فنراه يعبر عن ذاته بقوله (٢)

ولى قلب أشد من الرواسى وذكرى مثل عرف المسك نامى
ومن عجب أصيد الأسد قهراً وأفترس الضوارى كالهوام

ومن صور انفعالاته وسرعة استثارته قوله : (٣)

وماهز قوم رايه للقائنا من الناس إلا دارهم ملئت دماً

فهذا دليل قوى على نفس متحفزة وعزيمة متقدة ترد بكل شدة على من يستثيرها .

---

(١) علم النفس التربوى ٢٢٤ .
(٢) ديوان عنترة ٢٢٠ .
(٣) المصدر السابق ٢١٨ .

ويعرض لنا صورة أخرى عن بأسه وشدته وغضبه متى كان هناك من الأمور ما يستحق الغضب . حتى أن غضبه عبوس حيوانى لامثيل له فى الخلق . وتلك سمة الشخصية الغضبى والتى تعبر عن الذات ومايعتمل فيها(١)

أشعل النار ببأس ... وأطاها بجنانى
إننى ليث عبوس ... ليس لى فى الخلق ثانى

فلم تكن شخصية شعراء العصر الجاهلى بالوديعة الهادئة التى تتسم بالإطمئنان ولكنها المتحفزة المستعدة النشطة المتفاعلة فى كل حالاتها ، ويمكن أن يقال إن شخصية شعراء الحرب فى العصر الجاهلى كانت من نمط لشخصية الغضبى . وإذا كان الغضبى شاعراً رأينا فى شعره الخطابة : رأينا النبرة الشعرية تنقلب بفضل الفعالية رأساً على عقب ، فالصفة هنا تصير إلى سهولة وحماسة ، والوفرة والغزارة تحلان محل الجهد ، والفصاحة والحميا تتدفقان تدفق السيل الجارف ، ويصبح الشعر خطابة وإهابة ونداء وامر . وشعر الغضبى يدافع عن قضية ويستثير همة ، ويقاتل ويصارع (٢)

فهذا الحصين بن الحمام يعبر بصدق عن الغضب والاستثارة ونفاذ الصبر بنبرة شعرية تفيض حماسة واندفاعاً ليرضى نزعة الانتقام . (٣)

ولما رأيت الوديس بنافعى ... وإن كان يوماً ذا كواكب مظلما
صبرنا وكان الصبر فينا سجية ... بأسيافنا يقطعن كفاً ومعصماً
يفلقن هاماً من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

---

(١) ديوان عنترة ٢١ .
(٢) علم النفس والأدب . د . أحمد كمال زكى ١٨١ .
(٣) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ٦٥٧ .

وجوه عدو والصدور حديثة بود فأودى كل ود فأحمدا

والغضب وليد الاستثارة وموروث الانفعالات والضيق النفسي الدفين فمتى كان ذلك فى حالة الحرب كانت الطامة الكبرى . إذ لايستطيع الإنسان كبح جماح نفسه . وينطلق على غير هدى فى كل تصرفاته . ويصدر الوعيد والتهديد : ولايمكن السيطرة على تلك الحالة إلا بتحقيق مأرب الثورة بأى وسيلة ممكنة مشروعة أو غير مشروعة .

وحياة العرب فى الجاهلية مليئة بما أغضبهم من احداث السطو لسلب والنهب أو التعالى والتفاخر بالحسب والنسب . فلم تكن عندهم قوانين تحدهم أو قيم دينية حكيمةيرتضونها . وإنما البطش والطعن والثورة لنفسية التى لاتحد .

وما أحسن ما عبر به الشاعر عمرو بن كلثوم فى موقفه من الملك عمرو ابن هند الذى تطاول على الشاعر وأثار حفيظته حتى هب ابن كلثوم غضبا مستشاراً متوعداً يقول (١) :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا
وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا
وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمى المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا
متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا فى اللقاء لها طحينا
وإن الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٣٦٥ .

ورثنا المجد قد علمت معـــــد نطـاعـن دونـة حـتى يبينـا

وبعد عرض هذه القوة النفسية والتى كانت وليدة الاستثارة يبرز مكانة قومه فى علو همة ورفعة وقوة ارادة وحسن تحكم . كلها صفات استحضرها الشاعر حال وجود المثير ليرد على خصمه ويدحض زعمه . فلاعجب أن نراه يقول . (١)

ونحـن الحاكمون إذا أطعنـا ونحن العازمون إذا عصينـا
ونحن التاركون لمـا سخطنـا ونحن الآخذون لمـا رضينـا
وإنا المانعون لمـا بلينـا إذا ماالبيض زايلت الجفـونـا
وأنا المنعمـون إذا قـدرنـا وأنـا المهلكون إذا أتينـا
وأنـا الشاربون الماء صفـواً ويشرب غيرنا كـدراً وطينـاً
لنـا الدنيـا ومن أضحى عليهـا ونبطش حين نبطش قـادرينا

فهذا أسلوب الشاعر الغضوب المعبر عما ألم به وبقومه تعبيراً نفسياً كان له أوقع الأثر فى نفوس القوم . ورفـع مكانة الشاعر إلى حيث أراد وكيف قد استطاع الشاعر أن يحسن استخدام عدته النفسية فى وقتها وضد خصمه فيقهره .

فاستطاع الشاعر أن يشبع الدافع النفسى وكأنى به يدرك ماقاله علماء النفس أن الدافع النفسى يتضمن : الشعور بنوع من التوتر النفسى والفسيولوجى الذى يثير نوعاً من الإنفعال ويدفع إلى القيام بنشاط موجه نحو الهدف . كما يتضمن اشباع الحاجة النفسية وتحيق الهدف بما يخفف من حدة التوتر

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٣٦٩ .

النفسى ويؤدى إلى الإرتياح والعودة إلى حالة الاتزان الانفعالى (١) وهذا مااستطاع الشاعر أن يحققه أمام القبائل كلها ويظفر بالإنتصار على خصمه وتهدأ نفسه بعد النيل منه .

ومن هنا يمكن أن نقرر أن هذا الشاعر البدوى الذى عاش فى العصر الجاهلى كان يرى أن كرامة قومه شئ لايستهان به . وأنه يركب من أجلها كل الصعاب حتى لو كلفه ذلك بذل حياته رخيصة فداء لها . وقد وضح ذلك فى سرعة انفعاله واطلاقه للشعر التهديدى وكأنه القذائف الموجـــة والإنذارات المرعبة . ولا غرابة فى ذلك فهو كما قال علماء الاجتماع عن تصرف مثله : سريع الانفعال . خصوصاً إذا ما أعتقد أن شرفه قد مس أو أن كرامته قد أهدرت أو أهينت . لذلك فهو يثور بغير تقدير أو نظر لعاقبة ذلك الأنفعال (٢) .

وهذا السلوك الحيوى من قبل الشاعر وأمثاله تجاه مثل هذه المواقف وليد طبيعته وأساس من دعائم حياته . فهو يقدم على المكاره لأنه يقدر ذاته تقديراً شديداً وكذلك سرعة استثارته تجعله يخوض الصعب دفاعاً عن حريته وردأ لأى سوء ينال كرامته وإنسانيته .

وإن دل هذا السلوك الذاتى على شئ فإنما يدل على تعصب نفسى يراه الشاعر من أهم واجباته تجاه قبيلته . وحفاظا على كيانها وتفانيا فى سبيلها فهو مدرك كل الإدراك ذوبان شخصيته فى قبيلته ورفعة قبيلته بشخصيته متى كان غيوراً متعصباً لها يدفع من أجلها كل ماملكت يداه . وهـــذا

---

(١) علم النفس التربوى ١١٢ .

(٢) علم الاجتماع البدوى . د . صلاح الفوال ٣٣١ .

التعصب سواء ما كان منه لرأيه أو لشخصه أو تحزبا مع أهله وعشيرته هو نصرة لنفسه ولعشيرته فى كل المواقف . ولا يهمه بعد ذلك أن يكون غانماً أو غارماً .(١)

ولم يكن عمرو بن كلثوم وحده من بين شعراء العصر الجاهلى من يغضب أو يستثار . بل إن العديد منهم فى مواقف متباينة عبروا عما نزل بهم وبقومهم تعبيراً سلوكياً كان له أبلغ الوقع فى النفوس وأشدها إيلاماً فى صدور الأعداء وهو نوع من الدفاع النفسى الناجع .

فهذا الشاعر وداك بن نميل المازنى الجاهلى (٢) يتحدث عن قومه ومدى تعصبهم لبعض متى حاق بهم مكروه أو استنجد بهم غيرهم . وكل همهم أن تكون وحدة الصف والنجدة من أبرز سماتهم .

مقادم وصالون فى الروع خطوهم ... بكل رقيق الشفرتين يمان
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حرب . أم بأى مكان

كما يبرز فى ميدان التعصب للعشيرة والغضب لما ينزل بها والدفاع عنها بكل قوة وحماسة الشاعر عمر بن الإطنابة فى اقدام نفسى صريح فيقول(٣)

أبت لى عفتى وابى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى
أبت لى أن أقصر فى فعال ... وأن أغضى على أمر قبيح

---

(١) العصر السابق — بتصرف ٣٣١ .
(٢) الاغانى والنظائر ١ / ١٢٠ .
(٣) حماسة الظرفاء ٥٧ .

لأدفع عن مآثر صالحات وأدفع بعد عن عرض صحيح

وابن الاطنابة من الشعراء الفرسان فى قومه ومن ساداتهم ولكنه جعل مكانه حيث يكون البطل الشجاع مقداماً فى مواطن الشدة ثائراً لكل مايصيب قومه أو يؤذى سمعتهم . فحمل نفسه كل مشقة والقى بها فى التهلكة حتى لايرمى بالتقصير يوماً ما . وحتى يحقق ماترغب فيه نفسه من صون عرض قومه وحمايتهم فما أحسن أن يحقق قول السموأل الشاعر الجاهلى فى مثل هذا الموقف :(١)

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

**جـ — مشحونة بمضاء العزيمة :**

والشخصية المحاربة لاتختلف صفاتها فيما بين أفرادها . فما يستحب فى القائد من مضاء عزيمة وجرأة وشجاعة واقدام وتفانى فى خدمة الجماعة والزود عنهم وتصريف شئونهم وحمايتهم يستحب فى كل جندى خلفه؛ فالمعركة دائما تصقل الجميع وتجعلهم فى واحد هم جميعا «المقاتل» .

وهناك مجمل شمائل انسانية تلعب دوراً هاماً فى الحرب النفسية ولها قوة تأثيرية دفاعية وهجومية فى نفس الوقت . تلك التى ينبغى أن يتحلى بها المحارب حتى تكون شخصيته نافذةالتأثير فى كل الميادين . فيرى كثير من رؤساء المدارس النفسية الحديثة أن الأهمية الكبرى والمنزلة الأولى فى تكوين الشخصية النافذة ونحوها إنما هى للمزايا النبيلة والصفات الشريفة

---

(١) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى — ٣١٦ .

والشمائل الناعمة الوديعة من الاستقامة . إلى طيبة إلى مثالية إلى علو فى الهمة ورفعة النفس . (١)

فإذا استعرضنا هذه الصفات جميعاً على شخصية المحارب فى العصر الجاهلى وجدنا أنها تنطبق على غالبيتهم إن لم تشملهم : فلم يعهد على المحارب الجاهلى أنه تخفى لعدوه حتى يباغته وانما كان يجاهر بنفسه ويعلم ذاته بالعديد من الاشارات حتى لايرمى بالجبن أو الشخاذل ، وتلك من أولى المزايا النبيلة . وكذلك لم يعرف عن أحدهم أنه حارب لمغنم دنيوى فتلك عادة الصعاليك وقطاع الطرق . وهناك فرق بين الفريقين ، فالحرب بين القبائل فى شكلها المنظم هى التى تعنى بالبحث فيها ، أما هجمات الصعاليك فلم تكن من هذا اللون ولكن كان همهم ان ينتزعوا لقمة العيش من أيدى من حرموهم منها ، دون أن يبالوا فى سبيل غايتهم أكانت وسائل مشروعة أم غير مشروعة ، فالحق للقوة ، والغاية تبرر الوسيلة (٢)

فشتان بين صعلوك شاعر ينظم فى سبيل حياته أنه يشن الغارات اشباعاً للجوع ودفعا للفقر واثباتا لمكانته الاجتماعية بين القبائل ورفع اثقال الذل عن كاهله . وبين شاعر أبى عفيف يحارب دفعاً لظلم أوردا لحق مغتصب أو حماية لعرض منتهك أو ثأراً لدم مسفوك أو حماية لمستجير أو رعاية للممتلكات الخاصة بقبيلته . وكل هذه الأغراض من أنبل صنعات الإنسانية التى يعنيها علماء النفس فى الشخصية النافذة التأثير .

فهذا عروة بن الورد الشاعر وسيد صعاليك الجاهلية يعلن دستوره

---

(١) علم النفس العسكرى ٤٨ .

(٢) الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى . د . يوسف خليف ٣١ .

وجساعته فى تلك الأبيات المختارة من أن هدفهم الأول من الإغارة وشن الحروب الفردية على الأمنين كانت دفعاً وإبعاد للفقر والتماساً للغنى فيقول لزوجه (١) .

ذريـنى للغـنى أسعـى فـإنى رأيت الناس شرهم الفقـير

ويقول فى طلب الغنى والحث عليه بطريقة المباغتة والإغارة (٢)

فسر فى بلاد الله والتمس الغـنى تعش ذا يسار أو تموت فتعـذرا

ويقول فى دفع الحاجة وسد مطالب الأهل والولد وكيف يلقى بنفسه فى التهلكة (٣)

ومـن يـك مثلى ذاعيـال مفتراً من المـال يطرح نفسه كل مطرح

فأين هذا من عفة نفس عنترة الفارس الذى عرف عنه ضيق ذات اليدين ولكن عرف للحرب حقها ، وأعلن عن جميل شمائله التى تتفق ورأى علماء النفس (٤) .

هـلا سألت الخيـل يابنـة مـالك إن كنت جاهلة بمـا لم تعلـم

يخبرك من شهد الوقائع أنـنى أغشى الوغى وأعف عنـد المغنم

فـأرى مغـانم لو أشاء حويتها ويصـدنى عنها الحيـا وتكـرمى

وهذا المرقش الأكبر (٥) يعبر فى علو همة كيف فزع من قومه حين

---

(١) ديوان عروة بن الورد ١٩٨ .

(٢) المصدر السابق ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ٩٩ .

(٤) مختار الشعر الجاهلى ١٠ / ٣٧٦ .

(٥) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٢ / ٢٢٢

أتاهم نبأ غارة عليهم . فالتحم الجميع فى قوة دفاعية ضاربة لصد الهاجمين وردهم على أعقابهم خاسرين . ولم يكن همهم الا الشرف ورفعة سمعة القبيلة بين القبائل جميعا :

أتتنى لسان بنى عامر ... فجلت أحادثها عن بصر
بأن بنى الوخم ساروا معا ... بجيش كضوء نجوم السحر
فما شعر الحى حتى رأوا ... بياض القوانس فوق الغرر
فأقبلنهم ثم أدبرنهم ... فأصدرنهم قبل حين الصدر

أما بلعاء بن قيس كنانى (١) فيرسم لنا صورة لقائه بحثا عن فارس شجاع بين صفوف الأعداء ، وكيف ظفر به وارداه قتيلا بضربة معلنة لكل زملاء السلاح فلم يكن من شمائله المباغتة أو التخفى . وتلك من نبل الشخصية المحاربة .

وفارس فى غمار الموت منغمس ... إذا تألى على مكروهة صدقا
غشيته وهو فى جأواء باسلة ... غضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا
بضربة لم تكن منى مخالسة ... ولا تعجلتها جنبا ولا فرقا

أما عن المثالية وعلوا الهمة ورفعة النفس التى يراها علماء النفس ضرورية من ضروريات الشخصية المحاربة النافذة قد أبرزها لنا عنترة فى زمرة من رجاله فقال (٢)

وكتيبة لبستها بكتيبة ... شهباء باسلة يخاف رداها
خرساء ظاهرة الأداة كأنها ... نار يشب وقودها بلظاها

---

(١) التذكرة السعدية ٥٩ .
(٢) ديوان عنترة ٣٠٦ .

فيها الكماة بنو الكماة كأنهم ... والخيل تعثر فى الوغى بمناها
شهب بأيدى القابسين إذا بدت ... بأكفهم بهر الظلام ساهما
صبر أعدوا كل أجرد سابح ... ونجيبة ذبلت وخف حشاها
يعدون بالمستلئمين عوابساً ... قوداً تشكى أينها ووجاها
يحملن فتيانا مداعس بالقنا ... وقراً إذا ماالحرب خف لواها
من كل أروع ماجد ذى صولة ... مرس إذا لحقت خصى بكلاها
وسريت فى وعث الظلام أقودهم ... حتى رأيت الشمس زال ضحاها

ويقدم محرز بن المكعبر الضبى (١) ماله وبسالته فداءلعشيرته والدفاع عنهم فى بسالة وعلو همة وعفة نفس . فلم يقاتل عن مطمع وإنما حفاظاً على شرف القبيلة ورعاية لمن فيها . وتلك سجية المحارب البطل .

فدى لقومى ماجمعت من نشب ... إذ لفت الحرب اقواماً بأقوام
إذ خبرت مذحج عنا وقد كذبت ... أن لن يورع عن أحسابنا حام
دارت رحانا قليلا ثم صبحهم ... ضرب يصبح منه جلة الهام
ساروا الينا وهم صيد رءوسهم ... فقد جعلنا لهم يوماً كأيام

فهذان إعلان تكذيب لمن قال لقومه إن فرسانكم لن يسعفوكم أو يردوا عنكم الأعداء . وقد جاء الحق فى ذلك اليوم وأدت شمائل الأبطال دورها المرموق .

ومن سمات الشخصية المحاربة الإندفاع بعد التعقل وتقليب الأمور على وجهها الصحيح . والتروى والبعد عن الرعونة والتدبر فى العواقب قبل

---

(١) المفضليات ٥١٠ .

الإقدام على أمر من أمور القتال . ودائمـــا يختار القائد من بين من يتصف بهذه الصفات مجتمعه مع القدرة الفائقة على تحمل المسئوليةورجاحة العقل .

وقد أدرك شعراء العصر الجاهلى هذه السمات التى تلائم المحارب كل الملاءمة فأشادوا بمدحهم فخراً وبهجاء اعدائهم هزيمة وإحباطاً . وهـذا ماأطلق عليه علماء النفس الحرب بالمناطق النفسية العليا فى الإنسان والتى تشتمل على الوجدان النفسى والفكر الواعى . (١)

كما ينبغى أيضا على المحارب أن تكون شخصيته ذات نفوذ أقوى وأمضى . وحزم وشدة حتى يؤثر فيمن يحيط به من الناس . وأن يتمتع بدرجة عالية من الإنسجام فى شخصيته الأخلاقية . ومحصلة هذاالإنسجام فى شحصية المحارب هو مايولد فيه مانسميه «بالشجاعة» وهى التى تعتمد على الجرأة والبأس والإقدام كركائز أساسية تقوم عليها .وهى الثمرة الأصلية للقوة النفسية لدى المحارب . والتى تنمـــى فيه قبل تدريبهعلى استخدام العدة الحربية . فإذا مااعد نفسه اعداداً قتاليا أول الأمر وتمرس على مواجهة كل الظروف القتالية وأدراك مداها نصراً أو هزيمة استطاع فى يسر أن يقبض يساعده على سلامة وأن يقود مركبته وينطلق محلقاً فى الفضاء يملأ ضوضاء وجلبة ويلهب النفوس حماسة نحوه إقداماً معه أو فزعاً منه . فهو فى حركتين قويتين أحداهما داخلية نفسية دافعة تغلى كغلى المرجل والثانية عضلية ذاتية تمكنه من استخدامعدتهالحربيةوخوض غمار المعركة

---

(١) علم لنفس العسكرى ٥٨ .

ونرى هذا الانسجام فى شخصية المحارب يتضح فى قول عنترة فى حدى لوحاته الفنية عن بسالته وشجاعته واقدامه ووثوقه من نفسه (١)

فما أوهى مراس الحرب ركنى ... ولكن ماتقاوم من زمانى
وقد علمت بنو عبس بأنى ... أهش إذا دعيت إلى الطعان
وأن الموت طوع يدى إذا ما ... وصلت بنانها بالهندوانى

ومن صور الحث على التماسك والشجاعة وانسجام الشخصية المحاربة قول أحد شعراء الجاهلية يحث قومه على الحرب والاستبسال فيها ويحذرهم فضيحة الفرار أو الهزيمة . ويدفعهم بروح وثابة حتى يحرك أنفسهم فتغلى وينطلقون إلى ساحة القتال : (٢)

لم يبق يا وبحكم إلا تلاقيها ... ومعر الحرب لاقيها وآنيها
فمن بقى منكم فى هذه فلله ... فخر الحياةوإن طالت ليليها
ومن يمت مات معذوراً وكان له ... حسن الثناء مقيما إذ ثوى فيها

أما عبس بن حذار فقال مرتجزاً يحدث فرسه بعد أن شحنت نفسه بالعدة القتالية وعدم الفزع من لقاء ليوث الأعداء . وقيل أن يستخدم أى قوة حربية نحوهم وهى تهيئة نفسية تدل على انسجام فى الشخصية المحاربة بصدق (٣)

أقدم قديد لاتكن خنوساً ... لأطعنن طعنة قلوساً

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٤٠٥ .
(٢) شعراء النصرانية ٣٤٤ . الشاعر البراق .
(٣) المفضليات ٣١ .

ذات رشاش تـــزع الحميـــــا  مـن لا يقاتـل لايكـــن رئيســـا

ويصف أعشى قيس الشخصية المحاربة فى يوم ذى قار من أشهر أيام العرب والذى انتصروا فيه على الفرس وأذلوا كسرى وجنوده ، فيصف انسجام سماتهم مع بعضها البعض وإقدامهم فى هيئة رجل واحد ، وقوة عزيمتهم ومضاء رأيهم حتى حققوا النصر المؤزر والذى ماتحققوا ماتزودوا بهذا الزاد النفسى وتلك العدة الذاتية التى لاتغلب .

وجند كسرى غداة الخنو صبحهـــم  منا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا
لقوا ململمة شهباء يقـــدمهـــا  للمـــوت لاعاجـز فيها ولاخـرف
فـــرع نمتـــه فـــروع غير ناقصة  موفق حـازم فى أمـره أنـــف
فيهـــا فـــوارس محمـــود لقاؤهـم  مثل الأسنة لاميل ولاكشـــف
بيض الوجوه غداة الروع تحسبهـم  جنان عين عليها البيض والزعـف
لما رأونـا كشفنا عن جمـاجمنـــا  ليعلموا أننا بكر فينصرفـــوا
قالوا : البقية والهندى يحصدهـــم  ولا بقية الا السيف فانكشـفوا
لو أن كل معد كان شاركنـــا  فى يوم ذى قـار ماأخطاهم الشرف

فهؤلاء القوم انتصروا برعبهم لعدوهم مع كثرة عدته الحربية ، فلما كشفوا عن وجوههم ورأى جند كسرى ماعليها من أمارات الفزع والغضب والتعطش إلى دماء الفرس ، ورأوا الشرر يتطاير من أعين العرب والحماسة تدفعهم قدماً والشجاعة لهم أردية والموت طوع ايديهم لإعدائهم ولوا هاربين فارين ولم يتركوهم وشأنهم ومالحقهم من عار بل أعملوا فيهم السيوف ارضاء لانفسهم العطشى إلى دمائهم .

أما الشاعر لقيط الأبادى فكتب إلى بنى شيبان شعراً فى يوم ذى قار يصف لهم

كيف يهب الجند للقاء العدو . وفيمن تكون قيادتهم . ومواصفات الشخصية المحاربة التى تحقق النصر . وكأنى به الخبير فى شئون عناصر الشخصية نافذة التأثير فى صفوف المحاربين . (١)

قوموا قياماً على أمشاط ارجلكم ... ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا
وقلدوا أمركم . لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعاً
لامترفاً إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعا طوراً ومتبعا
حتى استمر على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لاقحماً ولاضرعا

وتلك صورة ثانية لمضاء العزيمة وشدة البأس وجرأة الاقدام النفسى التى اتصف بها فرسان العصر الجاهلى . فمما دار فى حرب البسوس من أشهر حروب ذلك العصر ماقاله مرة بن ذهل أبوجساس قاتل كليب . وفيه سمات الشخصية المحاربة بكل أبعادها(٢)

وإنى حين تشتجر العوالى ... أعيد الرمح فى إثر الجراح
شديد البأس ليس بذى عياء ... ولكنى أبوء إلى الفلاح
سأليس ثوبها وأذب عنها ... بأطراف العوالى والصفاح
فما يبقى لعزته ذليل ... فيمنعه من القدر المتاح
فإنى قد طربت وهاج شوقى ... طراد الخيل عارضة الرماح
وأجمل من حياة الذل موت ... وبعض العار لايمحوه ماح

والإباء والترفع سمة من سمات الشخصية المحاربة النفسية . فرب كلمة طيبة تخمد نار فتنة طال زمنها متى نزلت هذه الكلمة من النفوس منزلة طيبة .

---

(١) ديوان لقيط ٥ ه

(٢) أيام العرب ١٤٧ . تحمد أحمد جاد المولى وآخران .

ورب كلمة عتاب جارح أو سباب مؤلم توقد نار العداوة وتوقظ البغضاء فى النفوس ولايقبل الذل إلا من حط قدره ودنئت نفسه . والمواقف الحربية تتطلب من الشجاع أن يرفض منازل الذل وينأى بنفسه عنها . وأن يكون مترفعا فى أنفه وإعزاز .

وربما كان من أسباب استمرار الحروب الطاحنة فى العصر الجاهلى سوء التدبر فى الأمور واللفظ بالكلام المؤذى . والتجريح بغليظه . فكان لهالوقع الأليم فى نفوس الأبطال فما استطاعوا له هضماًوثارت نفوسهم وانتقموا لكرامتهم وأعدوا أنفسهم دوماً أن يكونوا أعزة قليلين خيرا من كثرة مستذلين

فهذا عتاب بن أحد سادة قبائل العرب فى العصر الجاهلى الحارث بن عباد سيد بنى بكر . والمهلهل بن ربيعة سيد بنى تغلب . وكانت الحروب بينهما سجال وطال اشعالها . فقتل كليب بن ربيعة . وقتل المهلهل أخاه بجيراًالبكرى وكلاهما من أشراف القبيلتين . فقال الحارث بن عباد — حقنا للدماء ووضعاً للحرب — حين بلغه قتل المهلهل لبجير : نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل يعنى القبيلتين المتحاربتين — وارسل إلى المهلهل قائلا : إن كنت قتلت بجيرا بكليب . وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسى بذلك . فأرسل اليه المهلهل : إنما قتلته بشسع نعل كليب . فغضب الحارث — وكان من أحلم أهل زمانه واشدهم بأساً — ودعا بفرسه — وكانت تسمى النعامة — فجز ناصيتها . وهلب ذنبها ونظم قصيدة إباء نفسى لابد من عرضها كنموذج طيب لهذا اللون . واشتعلت الحرب ودارت الدائرة على المهلهل ومن تبعه . فقال الحارث بن عباد فى هذا الموقف (١)

---

(١) أيام العرب ١٦٠ محمد أحمد جاد المولى وآخران

كل شئ مصيره للزوال ... غير ربى وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعاً ... ليس فيهم لذاك بعض احتيال
قل لأم الأعز تبكى بجيراً ... ما أتى الماء من رءوس الجبال
لهف نفسى على بجيرا إذا ما ... جالت الخيل يوم حرب عضال
وتساق الكماة سما نقيعاً ... وبدا البيض من قباب الحجال
وسعت كل حرة الوجه تدعو ... يابكر غراء كالتمثال
يابجير الخيرات لاصلح حتى ... نملأ البيد من رءوس الرجال
وتقر العيون بعد بكاها ... حين تسقى الدما صدور العوالى
أصبحت وائل تعج من الحرب عجيج الجمال بالأثقال
لابجير أغنى قتيلا ولا رهط كليب تزاجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها علم الله ... وإنى بحرها اليوم صال
قد تجنبت وائلا كى يفيقوا ... فأبت تغلب على اعتزالى
وأشابوا ذؤابتى ببجير ... قتلوه ظلماً بغير قتال
قتلوه بشسع نعل كليب ... إن قتل الكريم بالشسع غال
يابنى تغلب خذوا الحذر إنا ... قد شربنا بكأس موت زلال
يابنى تغلب قتلتم قتيلا ... ماسمعنا بمثله فى الحوالى
قربا مربط النعامة منى ... لقحت حرب وائل عن جمال
قربا مربط النعامة منى ... ليس قولى يراد لكن فعالى
قربا مربط النعامة منى ... جد نوح النساء بالإعوالى
قربا مربط النعامة منى ... شاب رأسى وأنكرتنى العوالى
قربا مربط النعامة منى ... للسرى والغدو والآصال
قربا مربط النعامة منى ... طال ليلى على الياتى الطوالى
قربا مربط النعامة منى ... لاعتناق الأبطال بالأبطال

قـربـا مـربـط النعـامـة منى ... واعدلا من مقالـة الجهـــال
قـربـا مـربـط النعـامـة منى ... ليس قلبي عـن القتـال بسـال
قـربـا مـربـط النعـامـة منى ... كلما هب ريح ذيل الشمـال
قـربـا مـربـط النعـامـة منى ... لبجير مفكـك الأغـلال
قـربـا مـربـط النعـامـة منى ... لكـريم متـوج بـالجمـال
قـربـا مـربـط النعـامـة منى ... لانبيـع الرجال بيع النعـال
قـربـا مـربـط النعـامـة منى ... لبجير فـداه عمـي وخـالى
قـربـهـا لحى تغلـب شوسـاً ... لاعتناق الكمـاة يـوم القتـال
قـربـاهـا وقـربـا لأمتى در ... عـاً دلاصاً تـرد حد النبـال
قـرباهـا بمرهفات حـداد ... بقـراع الأبطـال يـوم النزال
سائلـوا كنـدة الكـرام وبكراً ... وأسألوا مذحجاً وحى هـلال
إذ أتـونـا بعسكـر ذى ذهـاء ... مكفهر الأذى شديد المصـال
فقـرينـاه حين رام قـرانا ... كل ماضى الذباب عضب الصقال

فأى إباء نفسى ذلك الذى انطلق به ذلك الحليم ذو البأس الشديد يهدد ويتوعد حتى اكتملت سمات الشخصية المحاربة نفسيا فى ذاته ، فلو أدرك المهلهل قيمة الناس ماتطاول عليهم وماسوى بين الإنسان وشسع النعل . تلك الكلمة التى أهاجت القبيلة واشعلت نار الحرب من جديد وغلت الأحاسيس فى صدور الأبطال وهتف كل منهم لامرحباً بالحياة مع الذل وعار الاستصغار . وحق لهم ما أرادوه بعزيمة الرجال وإباء الأحرار حتى أدرك العرب آنذاك أن اللسان معقل الخير أو الشر على السواء بما يحدث الإنسان به نفسه . فحقا من أبت نفسه واكتملت صفاته الحربية وتساقت خلقه النفسية فى كـل حـرب فتاكة قوية لايبيع الرجال بيع النعال .

لقد استطاع الحارث بن عباد أن يترجم بصدق عما يتصف به قائد

القوات المحاربة الآن كما يقول علماء النفس الحربى . فحين هب ينقم تلك الأبيات كأنه الخطيب المفوه الذى وصل إلى أعماق نفوس السامعين وكأن غاية قوله أن يحول الأفكار الذهنية الجامدة إلى عواطف يشتعل بها السامع ، وينصرف بتأثيرها تصرفاً لا قبل له به . فيما يكون فى حالة اليقين العادى . والواقع أن الأفكار التى تقطن الذهن . مهما سمت وشرفت فإنها تبقى دون تأثير على تصرف الإنسان إذا لم تنتقل من كونها فكرة يعيها فى ذهنه بلا مبالاة إلى شعور راغم حى . يحول الفكرة الجامدة إلى عمل حاسم . (١)

فإذا كان هذا القائد قد تمتع بقسط وفير من الهدوء النفسى والحلم فإنه رأى إتماما لشخصية القيادة المحاربة والإباء النفسى أن يركن إلى الشدة فى حينها وأن يستدعيها متى شاء فهى سلاح يجنبه الذل وعار الاستهتار به وبقومه .

**د — ذات ثبات وتوافق مع الجماعة والسلاح :**

والشخصية المحاربة الصادقة تؤثر الثبات فى كل مواقف القتال عن الهروب وتأبى الفرار حتى فى أحلك حالات الضيق والشدة من الأعداء . فأولى بالإنسان المحارب أن يموت شهيداً عن أن يلحقه عار البقاء أو الفرار .

وأدرك شعراء العصر الجاهلى قيمة موقف الثبات فى ساحة الوغى وأواصر منه . فمدحوا الأولى وذموا الثانية . وتوقف كل واحد منهم عند من جلب العار لقومه بالفرار أو حتى من حدثته نفسه بالفرار . فهذا عمرو بن معدى كرب الزبيدى يصف حاله فى ثباته أمام رمى الأعداء له . وما حدثته نفسه به من ترك موقف القتال والنجاة بالفرار ولكنه تحكم فيها وردها إلى الصواب

---

(١) علم النفس العسكرى ٦٢ .

بالثبات حتى لايلحقه العار أبد الدهر (١)

وقفت كأني للرماح دريئة أقاتل عن أحساب جرم وفرت
وجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروهها فاستقرت

أما عنترة العبسي فيعبر أصدق تعبير عن نفس جريئة تأبى الفرار لأنه منجاة من موت العار . فيثبت في مكانه غير هياب ويحدث نفسه بدفع فكرة الفرار عنه حتى يحقق ماتعزم عليه الشخصية المحاربة دائما . فيقول . (٢)

وعرفت أن منيتي إن تأتني لاينجني منها الفرار الأسرح
فصبرت عارفة لذلك حرة نفسي إذا نفس الجبان تطلع

وهذا الشاعر أبو دلف يؤكد أن سمة الشخصية المحاربة أن تثبت في كل الموقف متى صعب وأن ترفض الفرار متى حان وقته والشجاع من يمرس نفسه على ذلك دوماً . (٣)

لقد علمت وائل أننا نخوض الحتوف غداة الحتوف
ولا نتقيها بزحف الفرار إذا ما الصفوف انبرت للصفوف

إن الشخصية المحاربة حين يحجم صاحبها عن الفرار من المعركة تكون قد حققت ما يطلق عليه علماء النفس بالتوافق بين الفرد والجماعة . فالمحارب شخص متكامل لديه قدرة على ضبط ذاته . وعلى إدراك عواقب الأمور . إنه يستحضر في ذهنه جميع النتائج التي يحتمل أن تترتب على أفعاله في المستقبل . وعلى هذا الأساس يستطيع أن يبني سلوكه وتصرفاته تبعاً لخطة

---

(١) حماسة البحتري ٩
(٢) المصدر السابق ١٠
(٣) عيون الأخبار ١٩٣ .

يضعها هو ، خطة يرسمها على أساس مايتوقعه من نجاح وتوفيق لأفعاله فى المستقبل البعيد . مثل هذا الشخص إذن يستمد قدرته على الضبط والتحكم فى سلوكه من تقديره للأمور تقديراً مبنياً على موازنة النتائج وتمحيصها . ومن هذه الخطط التى يضعها المحارب الا يسلك سلوكا هروبياً يدفعه للفرار من المعركة بل يكون الصبر والثبات أساس شخصية المحاربة فى كل موقف عملا لتقدم المجتمع الإنسانى والسير به فى سبيل التطور إلى الهدف الأبعد فهدف العمل للإنسانية جمعاء (١)

وهذا قيس بن الخطيم يعيب على أعداء قومه لعدم ثباتهم وصبرهم على اللقاء الحربى الفرار أمامهم بما جلب لهم العار ونزعهم من عداد المحاربين الأبطال (٢).

فهلا لدى الحرب العوان صبرتم  لوقعتنا والبأس صعب المراكب

ويثنى شعراء العصر الجاهلى على الأبطال الذين يرون غمرات الموت المحقق ويثبتون ويصبرون على ملاقاة الموت فى كل صوره بعداً عن الفرار ، ويصورهم مقدمين على الأعداء فى شجاعة وإقدام وتوفيق نفسى بما يعطيهم صفات الشخصية المحاربة حقا ، وهذا ماعناه جعفر بن علبة الحارثى (٣) من شعراء الجاهلية بقوله :

لايكشف الغماء إلا ابن حرة  يرى غمرات الموت ثم يزورها
نقاسمهم أسيافنا شر قسمة  ففينا غواشيها وفيهم صدورها

---

(١) التكيف النفسى ١١٦ بتصرف .
(٢) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى . ٣٩٩ .
(٣) الأغانى ١١ / ١٤٦ .

وتشيد امرأة من كندا بموقف قومها وثباتهم وعدم فرارهم رغم انهم أدركوا أن الفرار منجاة . ولكن تدبروا بتفكير نفسي عميق أن الموت بعد الصبر في المقاتلة سمة الشخصية المحاربة الحقة . ففي تصرفهم توافق مع الجماعة وحياة لها .(١)

أبــو أن يفروا والقنــا في نحورهم ... ولم يرتقوا من خشية الموت سلمــا
ولــو أنهم فــروا لكانوا أعــزة ... ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما

وهذا طرفه بن العبد يشيد بموقف قومه وثباتهم وعدم فرارهم بينما عاب على غيرهم تخاذلهم وفرارهم وعدوا ذلك من أبشع ما يهجى به الإنسان ،وأن الخير كل الخير في الثبات واثبات الذات المحاربة بما تحمله من سمات القدرة وضبط النفس في كل مواقف الشدة . فليس الفرار علاجاً أو شفاء لهــا(٢)

لنــا يــوم وللكــــــروان يــوم ... تطير البــائسات ولا نطــير
فــأمــا لومهن فيــــوم نحســس ... يطــاردهــن بالحــدب الصقور
وأمــا يــومنــا فنظــل ركبــاً ... وقــوفــاً مــا نحــل ومــا نســير

ومن السمات الضرورية للشخصية المحاربة نفسياً أن يكون بينها وبين الأداة الحربية التي يستخدمها المقاتل توافق ، من حيث الاستعداد النفسي لاستخدام ذات الآلة وحسن التصرف معها في المواقف الحربية المتعددة . وربما يتمرس الإنسان على استخدام أكثر من آلة . فإن مواقف الحرب تختلف قرباً أو بعداً بين المتحاربين . فللهجوم أدواته ، وللدفاع مثلها ، وللإلتحام عدة حربية معينة

وقد قال علماء الحرب النفسي في مثل هذا الموقف : في الحرب يجب أن

---

(١) عيون الأخبار ١٩٠ .
(٢) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ١٥٨ .

تهيأ الآلة وتعد اعداداً خاصاً يتناسب مع الرجل الذى سيقوم باستخدامها ، ويجب كذلك أن يهيأ الرجل ويعد اعداداً خاصاً لاستخدام الآلة . وبهذا وحده يمكن أن نجعل من الرجل والآلة وحدة فعالة تحقق الأغراض المطلوبة بنجاح وكفاءة . . . ولهذا السبب تعنى الدول الكبرى الآن بتحسين صناعة الأسلحة الحديثة بحيث يراعى فى صناعتها ذلك العامل الإنسانى . وهى تعنى بزيادة كفاءة الأفراد الذين يستخدمون تلك الأسلحة . (١)

وقد أدرك شعراء العصر الجاهلى وفرسانه العلاقة بين المحارب وعدته الحربية فأعدوا اعداداً نفسياً أولا بنزع الخوف من جسده ، وبث الجرأة والحمية فيه عن طريق التشجيع المستمر بمكانة المنتصر وعلو همته بين القبائل جميعا . ومدى انحطاط مكانته متى فرط فى اقدامه او اصراره على النصر وركن إلى الفرار . كما بينوا للمحاربين أنهم يدافعون عن حقوق تسلب وأموال تنهب وأعراض تنتهك أو شرف يجرح . فكان غليان الدم فى العروق وفورانه فى الأمر الذى جعلهم يبحثون عما يناسبهم من عدة حربية ينفذون بها مايعتمل فى صدورهم ويغلى فى رءوسهم .

ويمكن أن يعرض الباحث بعضاً من اللوحات النظمية لشعراء الجاهلية التى يشيدون فيها بالعلاقة النفسية بين شخصية الفارس وعدته الحربية — بشئ من الإيجاز — حيث سيفرد فى البحث فصلا مطولا عن تلك العدة منفردة .

ومن خير ماقيل فى هذا المقام بيت من أبيات الحكمة للشاعر عمرو بن براق الذى أكد العلاقة بين شخصية المحارب واستعداده النفسى للمعركة وعدته القتالية فى ايجاز بليغ وصياغة حكيمة لعدة يتقى بها الانسان كل شرور الآخرين نحوه .(٢)

---

(١) علم النفس الحربى ٩ .

(٢) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ١٥٤ .

متى تجمع القلب الذكى وصارماً وأنفاً حميا تجتنبك المظالم

ويرغب عنترة النفوس بالحديث عن عدته الحربية . وقد تناولها منفردة أحيانا وأخرى مجتمعة . ووظف كل سلاح ورتب مهمته . حتى يكتمل اللقاء المنتصر للفارس الذى تعودت نفسه على ذلك وصار النصر سمة من سمات شخصيته ، فقال : (١)

ولى حسام إذا ماسل فى رهج يشق هام الأعادى حين يمتشق

ويقوم مجمع عدته : (٢)

وسيفى مرهف الحدين ماضى تقد شفاره الصخر الجمادا
ورمحى مارطعنت به طعنياً فعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صارمى وسنان رمحى لما رفعت بنو عبس عمادا

ويقول فى أخرى : (٣)

وفى كفى صقيل المتن غضب يداوى الرأس من ألم الصداع
ورمحى السمهرى له سنان يلوح كمثل نار فى يفاع
وما مثلى جزوع فى لظاها ولست مقصراً إن جاء داعى

أما عبد قيس بن خفاف فيعلن عن عدته الحربية التى تنفذ كل فكره النفسى فى خوض غمار الحروب . ويزيد عليها مايقدمه لقومه من حماسة لسانيه تدفعه إلى غمارها غير هيابن . (٤)

---

(١) ديوان عنترة ١٧٣
(٢) ديوان عنترة ١٢٤
(٣) ديوان عنترة ١٢٤
(٤) الأصمعيات ٢٣١ .

وأصبحت أعددت للنأبات عرضاً بريئاً وعضباً صقيلا
ووقع لسان كحد السنان ورمحاً طويل القناة عسولا
وسابغة من جياد الدرو ع تسمع للسيف فيها صليلا

أما حاتم الطائى شاعر الجود والكرم فيأبى الا أن يكون جواداً بعدة حربية تساند مايعتمل فى صدره من حديث الإقدام النفسى وسمات الشخصية المحاربة . فيقول عن عدة المحارب مجتمعه : (١)

ترى رمحه ونباله ومجنه وذا شطب غضب الضريبة مخذما
وأحناء سرج فاتر ولجامه عتاد فتى هيجا وطرفاً مسوما

وأن هذه العدة هى التى تحقق للإنسان كل مأمن فى حياته وترد له شرفه أخذاً بالثأر فى رأى رجال ذلك العصر : (٢)

فما أدرك الأوتار مثل محقق بأجرد طاو كالعسيب المشذب
وأسمر خطى وابيض باتر وزعف دلاص كالغدير المشوب
سلاح أمرىء قد يعلم الناس أنه طلوب لثأرات الرجال مطلب

ويجعل ميراثه عدته الحربية بعد أن ملك عدته النفسية حتى تكتمل لديه الصورة المحاربة : (٣)

سأزخر من مالى دلاصا وسابحاً وأسمر خطيا وعضباً مهندا
وذلك يكفينى من المال كله مصونا إذا ما كان عندى متلدا

أما الشاعر أوس بن حجر فيبرز لنا صورة عدة الفارس الحربية بعد أن

---

(١) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ٥٠٤ .
(٢) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ٥٧١ .
(٣) ديوان حاتم الطائى ٤١ .

درب نفسه على خوض المعارك واكتسب خبرة ذاتية شهد الجميع لها فيهـا بالتفوق وسعة الفكر ورحابة الزراع . فيعلن ذلك بقوله : (١)

وإنى امرؤ أعـددت للحرب بعدما ... رأيت لها نابـاً من الشر أعضـلا
أصم رديني كـأن كعوبـه ... نوى القسب عـراصاً مـزجاً منصلا
وأملس صـولياً كنهى قـرارة ... احس بقـاع نفـخ ريحـ فأجفلا
وأبيض هنديا كـأن غـرارة ... تـلالؤ بـرق فى صـبى تكلـلا
ومبضوعـة من رأس فرع شظيـة ... بطـود تـراه بالسحاب مجلـلا
فذاك عتادى فى الحروب إذا التظت ... وأردف بـأس من حروب وأعضلا
وذلك من جمعى وبالله نلتـقـه ... وإن نلتقى الأعداء لا ألـق أعزلا

وهذا الشاعر يبين ان هذه العدة الحربية من اختياره الذاتى الذى يتناسب وعدته النفسية وسمات شخصيته الحربية . فلم تفرض عليه ، ولم تكن له ميراث عن اجداده . ولكنه تأنى وجرب وعرف مايتفق واستعداده وقدرته القتالية فأختارها . وهو بهذا الاختيار يتفق وماذهب اليه علماء النفس الحربى فى العصر الحديث من ضرورة اختيار العدة الحربية التى تتناسب والمحارب ومـا يحمله فى صدره من قلب جسور ، وما حوته عضلاته من قوة الحركة وسرعتها . والرأس وما وعى من تفكير وتدبير وحسن استخدام لآلة دون أخرى فى موقف عينه لها حتى يؤدى مانيط به من مهام قتالية بعزيمة وحكمة وارادة قوية .

وهناك علاقة نفسية بين الشخصية المحاربة وعدتها القتالية . فدائما نرى البطل الشجاع يحافظ على سلاحه حتى آخر قطرة من دمه ، ويتمسك به فى

---

(١) ديوان أوس بن حجر قصيدة رقم ٣٥

كل حالة ويعتبره كل ممتلكاته التى لاينبغى له أن يسهو فى المحافظة عليها .

وقد أدرك شعراء وفرسان العصر الجاهلى هذه الحقيقة . فهتف الشاعر الفارس عمرو بن ورد بأن ميراثه الذى يعتز به ويفتخر على الناس دوماً هو عدته الحربية التى جعلها حقه المطيع وأسبغ عليها من سماته حتى صارت كجزء من حياته . فيقول (١) لمن يرجو ميراثه :

وذو أمل يرجو تراثى وإن ما ... يصير له منه غداً لقليل
ومالى مال غير درع ومغفر ... وأبيض من ماء الحديد صقيل
وأسمر خطى القناة مثقف ... وأجرد عريان السراة طويل

ويبرز لنا الشاعر أوس بن حجر (٢) العلاقة الواضحة بين سماته الشخصية وعدته الحربية المتكاملة ، وأنه اختار أمر الحرب والدفاع عن النفس والقبيلة بكل تعقل وإعمال فكر ، ولازمه فى نفس الاختيار العدة القتالية المناسبة له فى وظائفها الدفاعية :

تخيرت أمراً ذا سواعد إنه ... أعف وأدنى للرشاد وأجمل
وذا شطبات قده ابن مجدع ... له رونق ذريبة يتأكل
وبيضاء زغف نثلة سلمية ... لها رفرف فوق الأنامل مرسل
معى مارن لدن بخلى طريقه ... سنان كنبراس النهامى منجل
وصفراء من نبع كأن نذيرها ... إذا لم تخفضه عن الوحش أغطل
وذاك سلاحى قد رضيت كماله ... فيصدف عنى ذو الجناح المعبل

---

(١) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ١٧٩ .
(٢) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٦٦٠ / ٢

هـ — الحرب أحيانا شفاء للنفس :

وإذا كانت الحروب حلا لمشكلات بين جماعتين أو أكثر اختلفوا على أمر من أمور الحياة . وبعدت بينهم المسافات للتفاهم وتحكيم العقل . فلجأوا إلى القتال لوضع حد لما اختلفوا عليه . فإنها تكون أحيانا شفاء لنفوس مشعليها . وسبباً مباشراً فى بعث النشوة والراحة النفسية لهم وهذه سمة من سمات الشخصية المحاربة انها تسعى دوماً أن تكون فى أسعد لحظات حياتها وتسلك كل مسالك يجلب لها السعادة حتى ولو كان احتساء دماء العدو أو تحطيم رأسه أو تمزيق عضلاته . وكلها عوامل نفسية مبعثها الغضب والحقد الدفين والتشفى على ماصار اليه حال القوم ودفعهم للمعاركة وانتصار للذات التى رميت بصفات الضعف والاستكانة . فكان لزاماً على المحاربين أن يثبتوا لأنفسهم مكانتهم الرفيعة وقدرتهم على تحطيم احلام العدو والقضاء على غطرسته وتطاوله والنوال منه بكل ماتملك الإنسان من عدة حربية ودوافع نفسية محفزة هاجمة غير هيابة .

وكثيراً مايسود الهدوء فى معسكرات المنتصرين بعد انتهاء المعركة وكأنهم يتنفسون الصعداء بفضل ماحققوه . ويشعرون بحالة نفسية هادئة ربما صحبها تفكير عميق يدل على اطمئنان نفسى وراحة لم يشعر بمثلها من قبل ، فبعد أن ملأه الغيظ والتحفز واشتعل فكره اقداماً وهجوماً حتى حقق ما وطن نفسه عليه إذا به يرى نفسه وقد أدى ماكان يحمله من واجب ثقيل وحط عن كاهل فكره ماكان يئن به من أمانه الدفاع والاستماته فى القتال فليهنأ بما حقق ، وليتقبله بقبول حسن وهو شفاء لصدره طالما حن اليه .

وإذا كانت ميادين علم النفس قد نظمت العلاقة بين الشعور بالإنتصار فى أمر من الأمور والسلوك الشخصى لدى الأفراد . وتطبعهم مع مجتمعهم بالكثير من عناصر الغبطة والفرح والرضا والسرور . فإن كل هذه العناصر هى

ما يمكن أن يطلق عليه قديما شفاء النفوس . وهذا ماأدركه شعراء العصر الجاهلى حين اعتبروا أن خوض المعارك الطاحنة ، وقوة الدفاع المتاحة وتحطيم قوى العدو ومعنوياته فى جملتها كلها شفاء لنفوس أبطالهم ولهم أنفسهم حين يخوضون غمار المعارك ويتبارون باللسان والدوافع النفسية والعدة الحربية .

فأى غبطة تلك التى كانت تغمرهم حين تبدو امارات الانتصار . وتلهب حماسة فكرهم تشد من أزرهم ، وأى مرض ذلك الذى كان دواؤه القتال والكر والفر والتفانى والتزاحم أن يكون أول المقاتلين بل إمام البارزين لأبطال العدو ، فذلك حلم يتحقق وأمل يتجدد وشفاء لسقم ران على القلوب فمرحبا بالدواء الناجع والشفاء المؤكد .

فهذا عنترة العبسى يعلن فى اطمئنان ذاتى أنه لم يستطع أطباء العرب آنذاك علاج سقمه ، ولم تفلح معه كل أمارات التطبيب ، وإنما كمن علاجه ودفع السقم عن نفسه حين دعاه زملاء الحرب وهتفوا باسمه واستنجدوا به ، فتقدم غير هياب يكشف عن صدره حتى يتلقى طعنات العدو وضرباته وحتى يفرج لعلامات العلاج أن تدخل مباشرة إلى قلبه فتبرئه من علته ، فيقول (١)

ولقد شفى نفسى وابرأ سقمهـــا  قيـــل الفوارس ويك عنترة أقـدم

وبنفس أسلوب تعبير عنترة عن الغبطة والسرور التى تلازمه متى دعى إلى القتال ومنازلة الأبطال يهتز عمرو بن معدى كرب ، ويعرب عن حالته النفسية وصفة المحارب الذى يقدم ولا يتراجع أمام الأهوال وصوب كل شدة . (٢)

لقـد علـم الحمـاة الشـــم أنى  أهش إذا دعيت إلى الطـــعان

---

(١) خزانة الأدب ١ / ١٢٩ .

(٢) ديوان عمرو بن معدى كرب ١٧٨ .

أما الشاعر الأسلع بن القصاف فيروى عما حدث فى يوم الشباك بين ربيعة وتميم وأن الدماء سالت تداوى قروح القلوب . وتساقط القتلى شفاء للنفوس وتحولت من حالة الكآبة التى رانت على القلوب إلى غبطة عمت كل النفوس (١)

ولم نسر حتى بل أسيافنا دم يداوى بـه فرح القلوب الجوالب
شمى سقماً إن كانت النفس تشتفى قتيل مصاب بالشباك وطالب
شفى الداء وابيضت وجوه كأنما جلا النقس عنها وهى سود كوائب(٢)

وهذا قيس بن زهير بن جذيمة العبسى يقول ان شفاء نفسه فى الحرب كان بتمكنه من قتل غريم له طالما تاق إلى إراقه دمه ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى سيفه الذى أحسن أستخدامه حتى جادله بهذا الشفاء الناجع . (٣)

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفى من حذيفة قد شفانى

وكما تكون اللقاءات فى أيام العرب حداً فاصلا لصراعات بينهم يكون قتلاها شفاء لنفوس الأبطال كما لوح بذلك عنترة دوماً (٤)

ألا هل أتاها أن يوم عراعر شفى سقماً لو كانت النفس تشتفى

إن شهوة الانتقام سمة بارزة من سمات الشخصية المقاتلة . وهى الوسيلة المثلى لشفاء النفس من سقم الذل والضعف الذى يرمى به الفارس البطل فتثور حيظته ويتشهى أن ينتقم لنفسه من عدوه ويذيقه من مرارة كأس الاستكانة والاحتقار .

---

(١) أيام العرب ٢٢٧ . محمد جاد المولى وآخران
(٢) النفس : العيب .
(٣) ديوان الحماسة ١ / ٢٠٣ .
(٤) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ١٣٧ .

فهذا عامر بن الطفيل يشيد بانتقامه من آل عبس وشفـــاء نفسه بمـــا حققه . ويركز على أن الداء دفين فى مرارته . وهو بهذا القتل قد شفى ـاءه وغنم من الحرب الكثير . (١)

مـن آل عبس قـــد شفيت مرارتى وغنمـــت كـل غنيمـــة لم تضهـل

ويقول فى موقف قتالى آخر . (٢)

ولقد أبلت الخيل فى عرصاتكـــم وسط الديار بكـــل حـــرق مجـرب

وشفيت نفسى من فزارة إنهـــم أهـــل الفعـال وأهل عـــز أغـلب

وغالبا ما يكون شفاء النفس فى الحروب من قتل سادة القوم ورجالاتها فقتل الجندى المحارب أمر تمرست عليه النفوس والفته . ولكن البحث عـــن البطل والسيد بين القوم والتمكن منه هو غاية كل منتقم ومتشفى فى الحروب .

وربما يكون القتل الجماعى أدعى لشفاء نفس المحارب . وهذا ماعناه الشاعر الأعشى حين رأى جماعات القتلى وقد أختلطت أجسادهم ولم ترتب جثثهم . ولم يدرك عددهم أحد بعد أو يندم لمصرعهم . وتلك شهوة الانتقام المسيطرة على نفوس الأبطال : (٣)

شفى النفس قتلى لم توسد خدودها وساداً ولم تعضض عليهـا الأنامـل

ومن الإبداع الفنى فى النظم قلب الصورة تعبيراً عن إظهار مكنون الذات فهذا عنترة العبسى يجول ويصول بين صفوف الأعداء يقتل منهم من تصبهم عدته إشتفاء للنفس وتفريجا عما تعانى من غل الانتقام . ويقلب الصورة بأدمن أعدائه من طال عليه أمله واشتد فى نفسه وقعه . فأراد من هول الموقف أن

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٩٣ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ١٧ .

(٣) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٢٠١ .

يستريح ولا راحه لمثله إلا بالموت . فتمنى ذلك وأراد ه فتعرض للبطل فى قتاله يرجوه دواء لعلته وفرجاً لكربه حتى نالته عدة الشاعر الحربية . (١)

ومكروب كشفت الكرب عنه بضربة فيصل لما دعانى

ومن نفس الصورة يقول عنترة :

وسيفى كان فى الهيجا طبيباً يداوى رأس من يشكو الصداع

وكذلك قال بشر بن حازم فى الفرض ذاته (٢)

كنا إذا نعروا لحرب نعرة نشفى صداعهم برأس مصدم

وهذا النمط من النظم تعبير صادق عن صفة ملازمة للمحارب إذ عليه ان يرى علته ويبحث عن دوائه ، ويتحسس علل الأعداء ويجلب اليهم شفاءها فهى شخصية يقظة معالجة .

ومن أهم علامات تلك اليقظة التفكير الدائم ، فالمحارب البطل هو الذى لايسهو لحظة عن القتال ، ولايستهين بصغار الأمور بل يعالجها قبل أن تستفحل عليه ويتدبر أمره تقدماً أو تأخراً فى القتال وبحثاً عما يجلب له الرفعة والمكانة العليا بين قومه حال انتهاء الحرب ، وذلك ماصرح به الحصين بن الحمام المرى بقوله : (٣)

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

وأحيانا لا يكون القتل لشخص أو لأكثر فى ساحة القتال شفاء تاماً للنفوس

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٤٠٤ .

(٢) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٤٥١ .

(٣) الحماسة ١ / ١٩٣ .

بل يرضيها بعض الرضا . وهذا دليل قاطع على التعطش دوماً للرى من دماء الأعداء وتلك خاصية الشخصية المحاربة . أنه دائماً يتطلع إلى المزيد حتى يقضى على فتن العدو وجموعه . ولايكتفى أن يقاتل رجل لرجل .

وهكذا ماعبر عنه الشاعر الشنفرى حين قاتل مع قبيلته قبل أن يتصعلك وينفرد بتكوين كتيبة شخصية يشفى بها صدعاً بينه وبين مجتمعه . فقال (١)

شفينا بعبد الله بعض غليلنا وعوف لدى المعدى أوان استهلت

ويعلن عنترة العبسى أن فناء الأعداء وتردهم فى ساحة القتال صرعى لم يشف نفسه شفاء تاماً . وإنما كان يتطلع إلى مواقف أبشع من ذلك حتى تكتمل سعادته وتهدأ نفسه الدائمة النظر إلى كمال كل موقف (٢)

شفى النفس منى أو دنا من شفائها تردهم من حالق متصوب

والمحارب فى المعركة لايفرق فى قتاله أن تنال عدته أى شخصية من الأعداء حتى ولو كانوا ذوى قربى له . فمن اصطف مع العدو فهو عدو يجب قتله وليس فى الحرب صلة متى أعلن العداء بين الأهل . وهذا ماعبر عنه — فى حزن واسى وعده من الشفاء النفسى للمحارب لسفك الدماء — الشاعر قيس بن زهير (٣) حين قتل أقاربه

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفى من حذيفة قد شفانى
شفيت بقتلهم نغليل صدرى ولكنى قطعت بهم بنانى

والمحارب دوما يتشفى ويبحث عن ضالته بين صفوف الأعداء حتى يزيل

---

(١) شرح المفضليات ١ / ٣٩٥ .
(٢) مختار الشعر الجاهلى ٣٩٨ .
(٣) أيام العرب ٢٦٥ . محمد أحمد جاد المولى وآخران

سقمة ويستعد لجولات حربية أخرى بنفس راضية وقوة متشبعة . وهذا ماصرح به الشاعر قيس بن الخطيم من أنه كان يصارع نفسه صراعاً مريراً لما أصابها من سقم وتعطش إلى الشفاء من دم الأعداء . فحقق مآربها حتى نال رضاها وهدأت ثورتها . (١)

إذا سقمت نفسى إلى ذى عـــداوة فـإنى بنصل السيف بـاغ دواءها
مـتى يأت هذا الموت لاتبق حاجة لنفس الا قد قضيت قضاءهـــا
وكانت شجاً فى الحلق مالم أبؤ بها فأبت بنفس قد أصبت دواءهـــا

ومن هذا النوع ما يدعو اليه حنظلة بن ثعلبة فى الحرب بين العرب والفرس فى يوم ذى قار حيث يدعو قومه إلى شفاء أنفسهم بالنيل من دماء الفرس وتحطيم كبريائهم بعد هزيمتهم النفسية . (٢)

ياقوم طيبوا بالقتال نفـــــساً أجـدر يوم ان تفلوا الفـــرسا

ويمكن أن يكون من شفاء نفس المحارب رفض الدية والإصرار على القتال حتى يثبت ذاته أمام العدو والصديق . وقد ندد شعراء العصر الجاهلى بمن يقبل الدية ورموه بالضعف والخور ، وألزموه العار طوال حياته ، وهجوه حتى يكون عبرة لغيره وحتى يكف الآخرون عن مثل فعله وتظل الحرب دائرة حتى تفنى الضعيف وينتصر فيها الشجاع القوى . واعتبروا ذلك صفة لازمة للمحارب فلا بد عليه أن يثأر لقومه حتى يرفعوا رؤوسهم .

قال عمرو بن رافع اللوس من الأزد وأحد المعمرين فى الجاهلية يحث قومه على رفض الدية واستمرارية القتال حتى لاتلوك السنة الناس سيرتهم

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ١٠ .
(٢) المفضليات ٦٧٨ .

ويرموهم بالضعف والانهزامية (١) فعليهم أن يرفضوا الجمال التى تقدم دية وتجلب العار وليرضوا دماً بـدم .

فلـو ان حياً يقبل المـال فديـة ... لسقنا لهـم سيلا من المال مفعمـا
ولكـن أبى قـوم أصيب أخوهـم ... رضى العار فاختاروا على اللبن الدما

وهذا مرة بن عداء الفقعسى من شعراء الجاهلية يوضح لقومه أن العار فى أخذ دية القتيل ، وأن الشجاع المقدام والمحارب البطل هو من يصر على طلب ثأره ولا يرضى به بديلا (٢) فالمال يذهب ويبقى عار الفدية .

فلا تأخذوا عقلا من القوم إنـنى ... ارى العار يبقى والمعامل تذهـب
كأنـك لم تسبـق من الدهـر ليلـة ... إذا أنت أدركت الذى كنت تطلب

ويحذر الشاعر المتلم ن بن عبد المسيح من أخذ الدية ويحض على رفضها والمطالبة الثأر ، موضحا أن العار والذل يلحقان بمن يقبل ذلك . أما الأبى الشجاع هو من يرفضها وينبرى لقتال القوم ليأخذ بثأره . (٣)

ألم تـر أن المـرء رهـن منيـة ... صريع لعـافى الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيماً مخـافـة ميتـة ... وموتـن بها حراً وجلـدك أملس
فمن طلب الأوتار ماحز أنفـه ... قصير وخاض الموت بالسيف بهس
نعامة لما صرع القوم رهطـه ... تبين فى أثوابه كيف يلبـس

---

(١) الذكرة السعدية ٩٣ .
(٢) المصدر السابق ٩٤ .
(٣) المصدر السابق ١١٨ .

و — وتألف التهديد والوعيد المستمر للعدو : —

ومن أبرز سمات الشخصية المحاربة أن تكون شخصية مهددة مرهوبة الجانب فالإستكانة والاستسلام يؤديان إلى الضياع والفشل الدفاعى والإحباط المجوى وليحرص المحارب دائما أن يتفاعل مع جو المعركة والبيئة الثائرة المحاربة التى ينتمى اليها . ويعدل سلوكه من الهدوء إلى التهديد والوعيد متى كان ذلك مطلوبا فالانسان ابن بيئته فى كل تصرفاته . وانه يثار انفعال الغضب فيه عندما تحبط أو تهدد دوافعه وحاجاته . (١)

والتهديد والوعيد من المحارب عاملان لازمان لتحقيق الذات وهما من محصلة الدوافع الفطرية فيه . فمتى حان وقت الجد كان عليه أن يعبر عن مايكنه صدره من مستودعات نفسية قتالية موجهة نحو عدوه ، يسمعه صداها حين تتفاعل فى نفسه ويرهبه ويفزعه بقوتها حين تنطلق من لسانه . وقد اعتبر علماء النفس ذلك من مكنون الدوافع النفسية وأنه يعبر عن هذا الميل بالحاجة إلى التقدير واظهار السلطة على الغير والرغبة فى الزعم والقيادة . (٢)

وما التهديد والوعيد فى شخصية المحارب الا ميول فطرية إلى العدوان والمقاتلة . وقد أثبت العلم الحديث أن هناك نظرية تعتبر العدوان وظيفة من وظائف الذات . تظهر بتأثير الإحباط . فقد أدت البحوث فى ماهية الذات والدور الذى تقوم به لتحقيق رغباتها إلى اعتبار العدوان من وظائف الذات الفطرية لتحقيق حاجاتها التى تتعلق بحفظ الحياة وتحقيق الأمن . (٣)

كما أن هناك رأى يقول : إن العدوان يكتسب فى ظل البيئة التى يعيش

---

(١) علم النفس ومشكلات الفرد . ١٣٩ .

(٢) الدوافع النفسية ٨٣

(٣) المصدر السابق ٨٥

فيها الفرد نتيجة احتكاكه بالجماعة التى يعيش بينها ونتيجة للسلسلة الطويلة للسلوك الإحباطى والقمعى الذى يتعرض له الفرد فى جماعته . (١)

والمحارب الصادق هو الذى يقدر المعركة حق قدرها . فيقدم حين يحمد الاقدام . ويتريث ويتدبر أمره حين يجب التريث والتدبر . ويدرك تمام الإدراك أن سلوكه فى المعركة ليس سلوكا فرديا . وانما هو سلوك تكيف مع جماعته وليس عليه أن يشذ عما تتخذه الجماعة المحاربة من قرارات يكون لها الأثر البين فى انجاح عملية المقاتلة . أو الحيطة والحذر فى صنع الهدنة وايقاف الحرب إلى حين . فعلية آنذاك أن يتكيف نفسياً مع ما يحدث حوله . فإذا جاء وقت الوعيد والتهديد انطلق بهما ولا جناح عليه فيما يفعل .

والتكيف النفسى عملية ديناميكية مستمرة يهدف بها الشخص إلى أن يغير سلوكه . ليحدث علاقة أكثر توافقاً بينه وبين البيئة . وهذه الظاهرة السلوكية هى القدرة على تكوين العلاقات المرضية بين المرء وبيئته . (٢)

وهذا التكيف فى شخصية المحارب المتوعد للعدو هى مشاركة وجدانية بينه وبين بيئته . فإن الإنسان البصير هو من يخلق القدرة على مشاركة الناس فيما يحسون به من فرح أو حزن . وهو عامل مهم من العوامل التى تمكن الفرد من ملاءمة حياته وسلوكه مع البيئة التى نعيش فيها .....والتعبير عن هذا السلوك وتلك المشاركة تتصل بقدرة المحارب الإنفعالية . (٣)

وقد أبان شعراء العصر الجاهلى فى مواقف عديدة من معاركهم عن هذا

---

(١) المصدر السابق ٨٦ .

(٢) التكيف النفسى ١١ .

(٣) الدوافع النفسية ٧٦ .

السلوك التهديدى الذى دأب عليه الأبطال وثائرى النفوس والوعيد المستمر لمن عاداهم .

ويكون التهديد والوعيد حال انتهاء معركة خان الحظ فيها بطلا مغوارا . فعز عليه أن يركن لما أصابه . فيلهب الموقف عزيمته من جديد ويجعله ينطلق متوعدا مهدداً . واحيانا يكون الوعيد والتهديد دوماً صفة اساسية من صفات الأبطال المحاربين . ومن هذا اللون ماكان من الشاعر معزوق بن عمرو الشيبانى من شعراء الجاهلية والذى قال : (١)

سائل قضاعة هل وفيت بذمتى ... أم هل أضعت العهد حين وليت
ولرب أبطال لقيت بمثلهم ... فسقيتهم كأس الردى وسقيت
فلأطلبن المجد غير مقصر ... إن مت مت وإن حييت حييت

وهذا عنترة العبسى (٢) الذى ظل يتوعد ويهدد كل من تحدثه نفسه بحربه . وجعلها صفة ملازمة من صفاته النفسية حتى رهب القوم جانبه وكانوا يتحاشون لقاءه . وماذلك إلا لأنه أدرك بحسه أن هزيمة العدو يمكن ان تكون كامغة فى النفوس يحركها الوعيد والتهديد . أو تمحوها شجاعة الأبطال وفتكم . فكان ينال الناس من هذا المدخل النفسى قبل أن يعمل فيهم عدته الحربية . وحتى يكسب السمة الرفيعة وعناء عدته وفرسه ويورث الناس رهبة وخوفاً ملأ صدورهم ويثبت ذلك ويحقق تكيفه مع بيئته الحربية

خلقت للحرب أحميها إذا بردت ... واصطلى بلظاها حيث أحترق
والتقى الصمن تحت النقع مبتسما ... والخيل عابسة قد بلها العرق

---

(١) الأغانى ٢٠ / ١٣٣ .
(٢) ديوان عنترة ١٧٣ .

لو سابقتني المنايا وهي طالبة قبض النفوس أتاني قبلها السبق

وربما يكون التهديد والوعيد في القتال من شخصية لها وزنها الحربي والاجتماعي على السواء . فيكون هذا أوقع في نفوس الأعداء واشعل لنار العداوة دائما . وهذا ماحدث من المهلهل بن ربيعة أحد أبطال أيام العرب وسيد من ساداتها حين أتاه النعي بقتل أخيه كليب بن ربيعة . فلم يتمالك نفسه متوعدا ومقسماً ليحاربن القوم البكريين اعداء قبيلته وليقتلنهم ويرعبهم حتى الأجنة في بطون الأمهات وأرحامهن . وحق له أن يتخيل هذا الفعل فكان وقع المصيبة شديداً ، وكانت منزله القتيل بين قومه رفيعة . فحتى يحدث الشاعر توافقا بين حالته النفسية وماكان عليه القوم من فزع وتكيف مع موقفهم جميعا قال : (١)

قتلوا ربهم كليبا سفاهاً أرقب الليل ساهراً أن يزولا
كيف أهدا ولا يزال قتيلا من بني وائل ينسى قتيلا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا
قتلوا ربهم كليبا سفاهاً ثم قالوا ما إن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى بسلب الخدر بيضه المحجولا

ويموت الجنين في عاطف الرحم ونروى رماحنا والخيولا

وقال في قصيدة أخرى يستنهض هم قومه ويتوعد بني بكر ويهددهم : (٢)

خذ العهد الأكيد على عمري بتركي كل ماحوت الديار

---

(١) العقد الفريد ٦ / ٧٢ .
(٢) أيام العرب ٢٥٢ . محمد أحمد جاد المولى وآخران

وهجرى الغانيات وشرب كأس ... ولبسى جبة لا تستعار
ولست بخلع درعى وسيفى ... إلى أن يخلع الليل النهار
وإلا أن تبيد سراة بكر ... فلا يبقى لها أبداً أثار

وكأنى بمهلهل يوقف العديد من قصائده وعيداً وتهديداً لبنى بكر حتى صار يحدث نفسه فى كل مجال وكل لحظه بهذا الأمر . ولا غرابة فى ذلك إذ أن الكائن الحى عندما يشعر بدافع معين فإنه يقوم عادة بنشاط يؤدى إلى إشباع هذا الدافع (١) . وتصبح عاطفته متأججة وتغلب عليه هذه الصفة المزاجية التى غالبا ما تصيب المحاربين الشجعان عندما يمتحنون فى قوتهم بفشل طارئ فتغلب عليهم عاطفة التهديد والوعيد وهى مجموعة من الانفعالات تتركز حول أشخاص معينين فى موضوعات معينة أو أفكار خاصة بحيث تجعل الشخص مهيأ لأن يسلك سلوكاً خاصاً فى المواقف المختلفة . (٢) فلا غرابةأن يملك هذا الموقف على المهلهل كل شعوره ووقته وعاطفته ويجعله مندفعاً دوماً حتى يقول (٣) .

أكثرت قتل بنى بكر بربهم ... حتى بكيت وما يبكى لهم أحد
آليت بالله لا أرضى بقتلهم ... حتى أبهرج بكراً أينما وجدوا

ويقول فى أخرى : (٤)

قتلوا كليباً ثم قالوا أربعوا ... كذبوا ورب الحل والإحرام

---

(١) علم النفس العسكرى ١٢٣ .
(٢) علم النفس التربوى ٢٢٦ .
(٣) نهاية الارب ١٥ / ٤٠٢ .
(٤) المصدر السابق ١٥ / ٤٠٢ .

حتى تبيد قبيلة وقبيلة ... ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسراً ... يمسحن عرض ذوائب الأيتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه ... مما يرى ندماً على الإبهام

فلم يكن المحارب فى العصر الجاهلى بالشخصية التى يستهان بها . أو بالإنسان الذى لايرهب جانبه . فكلما كان يفرح للنصر على العدو . كان يؤكد عزمه على الانتقام منه حال فشله متى دارت الحرب عليه . فهو عنيد متوعد مهدد دوماً .

ويعرض عبد العزى بن مالك الطائى أبياتاً يوضح فيها أن قومه رفضوا دية قتلاهم ورأوا الصبر فى القتال أخذاً بثأرهم حتى لايعاب عليهم أبد الدهر فخير لهم أن يرفضوا ماقدم لهم وان يبقى ذكرهم فى حربهم الثأرية . فليحذرهم الناس فهم أولوا بأس شديد (١)

إذا ماطلبنا تبلنا عند معشر ... أبينا حلاب الدر أو نشرب الدما
ليعلم أقوام مضاضة وترنا ... ونتبع ذات اللوم من كان ألوما
وعمداً قتلنا بعدما عرضوا لنا ... مقارمهم شعثاً وألفا مزنما

أما المرعش الكلبى فيحرض القوم على الأخذ بالثأر والتنكيل بالأعداء مثلما فعلوا بقومهم . فمن رضى بالهزيمة فهو العبد الذليل . وتلك إثارة نفسية لاتترك من يسمعها إلا غضوبا متهيجاً نيلا لثأره : (٢)

لو كنت حراً كريماً ذامحافظة ... مانمت الا ونار الحرب تشتعل

---

(١) حماسة البحترى ٢٨ .
(٢) المصدر السابق ٣٠ .

حتى تساق نساء سوق نسوتكـــم  بما أصابكم أو يبلـغ الأجـــل

وما أشد تلك الإثارة النفسية للهياج والأخذ بالثأر كما صورها زفربن الحارث العامرى والذى رمى قومه بأحط الصفات إن لم يثأروا : (١)

ياقيس عيلان قيس الـذل إنكـم  فى الحرب سيان أنـتم والعصافير
هـلا ثـأرتم وانتم معشر أنـف  قتلى بتدمـر جافتهـا الحنازيـر
لاتقربن رميـل الخيـل ماصدحت  حمامـة إنكـم قـوم عواويـر
لاينفلـت مطـر منكـم بوتركـم  فعجلوا الثأر إلا أنكـم خـور

(١) المصدر السابق ٣٠ .

# الفصل الثانى

## دور المرأة فى الحرب النفسية :

يشهد تاريخ البشرية أن للمرأة دور فعال فى الحروب . فأحيانا تكون المرأة فى ساحة القتال تضمد الجراح ، وتسقى العطشى ، وتصلح الأسلحة وتعد عدة الحرب لمجاهدين . واحيانا تتقدم صفوف المجاهدين متخفية أو ظاهرة ضاربة بذلك مثالا للشجاعة والفتوة ، وأحيانا تكون المرأة مديرة للمعركة تحمس الجنود وتشد أزرهم وتدفعهم بقوة نفسية إلى التفانى فى القتال والصبر على لقاء الأعداء . حفظا على أعراضهن . ودفاعاً عن شرفهن وحماية لضعفهن .

وقد شهد تاريخ العرب على مر العصور قصصاً بطولية نسائية لم يكن لها مثيل من قبل ، خاصة فى أيام صدر الإسلام وضربن الأمثال القتالية والتفانى فى حفظ القصيدة حتى شهد لهن بذلك .

والباحث فى دور المرأة العربية فى الحرب النفسية فى العصر الجاهلى يجد أنها قد تدبرت الأمور ودربت النفوس على الطاعة لأوامرها ، وملكت زمام الأمور بين صفوف المجاهدين حتى حققت الكثير من البطولات خاصة فيما كان بين القبائل العربية وغيرهم من العجم . وقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء بالدور القتالى نفسياً وبإشعال الحرب دوماً للمرأة ، وكيف كانت تفكر فى اطمئنان نفسى وتخطط لإدارة المعركة بقوة الرجال وفكر الأقوياء والحماسة الدائمة .

وللمرأة العربية دور فعال فى الحروب النفسية فى العصر الجاهلى لاينكر ذلك أنها كانت تشارك مشاركة فعلية فى المعارك بفكرها وخططها ، أو كانت تثير حمية المقاتلين من الرجال وتحرضهم على خوض غمار المعارك دون رهبة أو وجل . وتدفعهم دفعاً للأخذ بالثأر استمراراً للمعركة . فلا تكاد نفوس المقاتلين تهدأ بعد أن تضع الحرب أوزارها حتى يجد القوم من تدم عليهم كالإعصار المدمر تشيد ببطولتهم وتمدحهم حتى إذا تهيأت نفوسهم لسماع قولها نظماً كان أو نثراً ألقت على مسامعهم قذائفها بالعار وسوء العقب بين الناس جميعا إن لم يهب الأبطال للأخذ بالثأر . وتغلى دماءهم فى صدورهم بالألفاظ والعبارات التى لايقبلها من كان فيه ذرة من نخوة أو شئ من كرامة فى عرف الجاهلية وسرعان ماتشتعل النار من جديد . ويكون الكر والفر المشحون بالعزائم المتأججة والنار التى لاينطفئ لهيبها .

وقد حفظت لنا كتب التراث والأدب أن العديد من النساء كان لهن دور بارز له الوقع الشديد فى نفوس القوم والأعداء إذ أدركت بدهائها أن دورها الحقيقى فى المعركة ليس فى صفوف المقاتلين . فمهما كان امرها فهى ضعيفة التكوين سهلة التناول بيد الأبطال . فكان لزاما عليها أن تكون حصن الدفاع من وراء حجاب ومحركة الشعور القتالى . وشاحذة الهمم للإقدام بما تبعثه فى النفوس من مخاطر مدمرة حال انهزام القوم . وما يلحق بهم من رفعة وصيانة عرض حال الإنتصار . وكان قولها نافذاً إلى افئدة المقاتلين فما ضعفوا وما استكانوا بعد سماع قذائف التحذير وأمارات الأمل فى الفوز واندفعوا بثقة وعزيمة لاتفل .

أ ــ الدهاء وحسن اصطناع المواقف :

لقد جهل علماء النفس الحربى فى العصر الحديث دور المرأة فى الحرب النفسية على اعتبار أن حروب العصر تتطلب مهارات ودعاية وإعلان أكثر من ذى قبل . وأن وجود المرأة فى ساحة المعركة الآن لمهمة مهنية بحتة كالطب والتمريض والرعاية الإجتماعية ومايتطلبه أسلوب العصر من عون نسائى . فلم يتحدث أحد عنها .

وتتمتع المرأة بقدر كبير من الدهاء وحسن اصطناع المواقف الإنسانية وكيفية الخروج من المآزق . فلم يكن غريبا أن نجد بين نساء العصر الجاهلى من فكرت فى استمرارية الحرب أو اشعالها من جديد متى استخدمت جانب الدهاء والمكر واستدرار عطف القلوب .

فمواقف النساء لدى شعراء العصر الجاهلى عديدة ومعروفة . فلم يكن ماتقصد اليه أن تكون معشوقة لشاعر يتغزل فيها . بقدر ماكان يهمها أن تكون لها مكانة بين قومها . وإذا كان رجال النقد وعلماؤه قد تناولوا المرأة من جانب الغزل والتشبيب فحسب فقد فاتهم الحديث عنها كعنصر نفسى هام فى ادارة المعارك أو اشعال الحروب بعد خمودها فى ذلك العصر .

ولم تترك المرأة فى الجاهلية للرجل ينظم فيها حبا ويتقرب اليها صباية بشعره بل وقفت تحتل مكانتها الأدبية بين جموع الشعراء كما احتلت مكانتها فى قلوب الأصفياء لها من الرجال . فكانت مصدر الحماسة فى الإقدام وخوض غمار المعارك . وعامل حزن وعويل للبكاء على مصارع الرجال . وثأثرة لا تهدأ حين تدعوا قومها طلبا للثأر . وكل هذه العناصر تحقيقاً لدورها النفسى فى الحرب .

ويطول الحديث عن دور المرأة العربية فى الحرب النفسية فى العصر الجاهلى ولكنى أرى أن أعرض بعض نماذج الشعر وخاصة الشعر النسائى الذى يدور حول ذلك الهدف . وكانت له النتائج المؤججة للحروب وإثارة الفتنة النفسية بين القبائل أنذاك بفضل دهاء المرأة وتدبيرها .

ويمكن تقسيم أنماط النساء المحاربات نفسيا إلى : .

أ — امرأة تعتبر سلاح إقدام للدخول فى المعارك .

ب — امرأة ترثى قتلاها وتثير التنوس وتحرض الرجال للثأر .

حـ — امرأة تبعث الحرب وتشب لهيبها دفعاً لعار لحق قبيلتهم .

ويتجلى النمط الأول فى صحبة النساء للرجال فى المعارك . فكان الرجل يحرص كل الحرص الا تهان زوجه أو يقترب العدو منها . فوجودها بين الصفوف حال الإقدام للمعركة . ثم تأخرها خلف جنود قومها تحميهم وتناديهم مزيدا من الضرب والطعن والإقدام إنقاذ لعرضها وصون لشرفها . وكأن بينها وبين زوجها عهداً لقتل الأعداء والنيل منهم . واحيانا تدعه بحماسها وقولها فلا يبقى على أحد أمامه إلا أن يثبت ذاته أمامها ويرضى دعوتها له . ومن هذا اللون ماصرح به الشاعر عمرو بن كلثوم فى معلقته حيث قال (١)

على آثارنا بيض كرام ... نحاذر أن تفارق أو تهونا

ظعائن من بنى جشم بن بكر ... خلطن بميسم حسبا ودينا

أخذن على بعولتهن عهداً ... إذا لاقوا فواس معلمينا

ليستلبن أبدانا وبيضاً ... وأسرى فى الحديد مقرنينا

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٣٧٤ .

إذا مـــارحن يمشين الهـوينـــا كما اضطربت متـون الشاربينـــا
يقـتن جيـدنـا ويقلـن لستم بعـولتنا إذا لم تمنعـونـــا
إذا لم تحمهـن فـــلا بقينـــا لشئ بعـــدهـن ولا حيينـــا
ومـا منع الظعائن مثل ضـرب تـرى منـه السواعـد كالقلينـا

وكانت لمرأة فى العصر الجاهلى تقوم بدور المعالجة النفسية للجنود الجرحى وتبعث فيهم الطمأنينة وتساعدهم على اجتياز الأزمة التى كانوا يمرون بها . وتعيد اليهم نشاطهم الحربى وتزودهم بشحنة نفسية مدمرة للأعداء . وذلك مايروى فى الحرب بين بكر وتغلب حيث قال الحارث بن عباد للحارث بن همام زعيم بكر ورئيسها : هل أنت مطيعى فيما آمرك ؟ فأجابه : ماأنا تبارك رأيك قال : قاتلوا القوم بالنساء فضلا عن الرجال . قال الحارث بن همـــام وكيف ؟ قال : تعمدون إلى كل امرأة لها جلد ونفس فتعطونها إداوة وهراوة فإذا صففت أصحابك فصففهن خلفهم . فإن ذلك مما يزيد الرجال جلـداً وشدة ونشاطاً . ثم تعلموا بعلامة تعرفها نساؤكم . فإذا مرت المرأة على صريع منكم عرفته . فسقته من الماء ونعشته . وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه . فقبل الحارث بن همام ماأمره به حتى كان النصر حليف بكر (١) .

فكانت المرأة تقوم بالانتعاش النفسى للمحارب الجريح وتؤدى دورها النفسى فإذا تشجعت ووجدت الفرصة مواتية اندفعت وأجهزت على العدو الجريح ، اشفاء لغلتها منه . وهو دافع نفسى قوى .

وأحيانا لاتدخل المرأة المعركة . ولاتخلف الرجال فى الإجهاز على

---

(١) كتاب بكر وتغلب ٨٣ .

الجرحى من الأعداء بل تبقى فى خدرها ويدفع حبها الرجل إلى الإقدام والكر بين صفوف المقاتلين يتخطف الأعداء بقوة دفع حب المرأة له وحبها له . وقد أشاد بذلك شعراء العصر الجاهلى وفى مقدمتهم دوماً الفارس البطل الشاعر عنترة العبسى حيث قال لعبلته حين تذكرها فى أصعب فترات حياته القتالية فكان لخيالها فى نفسه أوقع الأثر فى التقدم ونثر رءوس الأعداء جزاء لدفع الحب وصوناً لعرضها وشرفها فقال : (١)

ولقد نزلت فلا تظنى غيره ... منى بمنزلة المحب المكرم
فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وهذه زوج قتادة بن مسلمة الحنفى تلوم زوجها على عثرة له بفرسانه فيكون للومها أبلغ الأثر فى نفسه ويعتزم الثأر والانطلاق حتى لا يعاب عليه فيقول : (٢)

بكرت على من السفاه تلومنى ... سفها تعجز بعلها وتلوم
لما رأتنى قد رزءت فوارس ... وبدت بجسمى نهكة وكلوم
ما كنت أول من أصاب بنكبة ... دهر وحى باسلون صميم
قاتلتهم حتى تكافأ جمعهم ... والخيل فى سيل الدماء تعوم
ومعى أسود من حنيفة فى الوغى ... للبيض فوق رؤوسهم تسويم
قوم إذا لبسوا الحديد كأنهم ... فى البيض والحلق الدلاص نجوم
فلئن بقيت لأرحلن بغزوة ... تحو الغنائم أو أموت كريم

---

(١) ديوان عنترة
(٢) الحماسة ٢ / ٧٦٥ .

ب ــ الرثاء النسائى مبعث نفسى للحرب :

ومن النساء من كن يرثين الرجال ويثرن النفوس حنقاً وغيظاً على الأعداء . فإذا تم لها ذلك دفعت اليهم بمطلبها وهو الرغبة الأكيدة للأخذ بالثأر من القتلى . وكن يلبسن نظمهن المعايرة وتيار الخطر الداهم لكل القبيلة فتشتعل الحروب من جديد وتجرى الدماء بين الناس .

ومن ذلك ماقالته قرفة زوجة حذيفة بن بدر حين قتل قيس بن زهير ابنها وحمل ديته إلى أبيه حذيفة فقبلها . فقالت تعيره بقبول الدية وتحضه على الثأر : (١)

حذيفة لا سلمت من الأعادى ... ولا وقيت شر النائبات
أيقتل نديبة قيس فترضى ... بأنعام ونوق سارحات
أما تخشى إذا قال الأعادى ... حذيفه قلبه قلب البنات
فخذ ثأراً بأطراف العوالى ... وبالبيض الحداد المرهفات
وإلا خلنى أبكى نهارى ... وليلى بالدمرع الجاريات
لعل منيتى تأتى سريعاً ... وترمينى سهام الحادثات
فذاك أحب من بعل جبان ... تكون حياته أردا الحياة

أم هند بنت حذيفة ترثى اخاها وتحرض قومها على الأخذ بثأره متضامنة مع أمها التى عيرت زوجها ، ومظهرة لعاطفة الأخوة نحو شقيقها ، ومعلنة لقومها مدى مايلحق بهم من عار إن تهاونوا اليوم فى عدم الثأر لشخص واحد فغداً يكون القتل فيهم بالجامعات ولن يجدوا من يثأر لهم أو يرهب القتلى

---

(١) شاعرات العرب فى الجاهلية والإسلام ٤٣ .

وتدعوهم للإغارة والا كانوا كالإماء وتلك درجة سفلى لايرضاها الأباة .(١)

تطاول ليلى للهموم الخواطر ... وشيب رأس يوم وقعة حاجر
لعمرى وماعمرى على بهين ... ولا حالف براً كآخر فاجر
لقد نال كرز يوم حاجر وقعة ... كفت قومه أخرى الليالى الغوابر
فلله عينا من رأى مثله فتى ... تناوله بالرمح كرز بن عامر
فيالبنى ذبيان بكوا عميدكم ... بكل رقيق الحد أبيض باتر
وكل رديني أصم كعوبه ... ينوء بنصل كالعقيقة زاهر
وكل أسيل الخد طاو كأنه ... ظليم وجرداء النسالة ضامر
فإن أنتم لم تصبحوا القوم غارة ... يحدث عنها وارد بعد صادر
وترموا عقيلا بالتى ليس بعدها ... بقاء تكونوا كالإماء العواهر

وقالت ابنة حكيم بن عمرو ( العبدية ) ترثى أباها وتحرض قومها على الأخذ بثأره : وتشعل النفوس حماسة واقداماً فى حرب ضد ربيع قاتله وقومه وترميهم أن تخاذلوا عن ذلك بالذلة والمسكنة والعبودة لربيع ، وعليهم ان يركعوا ويسجدوا له إكباراً بشجاعته وضعفاً لقوتهم . وتلك شحنة نفسية صادرة من إمرأة جريحة فلا بد من الثأر لها حتى تهدأ نارها (٢)

أيرجوا ربيع أن يؤوب وقد ثوى ... حكيم وأمسى شلوه بمطبق
فإن كنتم قوماً كراماً فعجلوا ... له جرأة من بأسكم ذات مصدق
فإن لم تنالوا نيلكم بسيوفكم ... فكونوا نساء فى الملاء المخلق
وقولوا ربيع ربكم فاسجدوا له ... فما أنتم إلا كمعزى الجبلق

---

(١) شاعرات العرب ٥٧ ٤ .
(٢) شاعرات العرب ٨٢ .

والملاحظة فى إثارة حفيظة الرجال ودفعهم للأخذ بالثأر أن المرأةالشاعرة التى كانت تقوم بتلك المهمة النفسية الحربية كانت ترميهم عند تخاذلهم بأنهم « نساء أو إماء عاهرات » وتلك خسة لايقبلها من كان فى نفسه ذرة من أنفة وإباء . فعرفت المرأة من أين يؤتى الرجل وخاطبت وجدانه واثارت نفسه .

أما أم الأغر بنت ربيعة أخت كليب وائل من شواعر العرب فى الجاهلية فقالت ترثى غرثانا أخا البراق وتحرض بنى بكر على الأخذ بثأره وتعيب على القوم أن همهم كان نيل المغانم وترك الرجال صرعى تنالهم سيوف الأعداء ، وهذا عيب لايستهان به . فما كانت الحروب الجاهلية إلا دفاعاً أو اثباتا لمكانة ولم تكن لمغنم إلا فى عرف غزوات الصعاليك .

وهى بهذه الفكرة تفتح عليهم باب الجدل والخصومه حتى يدبرى من كان همه القتال لشرف الحرب ويندفع ثائراً يشعل نارها ولا يلوى على مغنم دنيوى وليثبت ذاته البطولية أمام قومه . (١)

الا فابكى أعينى لا تملى ... فلى بمصابنا أبداً عويل
فلا سلمت عشيرتنا وعادت ... إذا صرع ابن روحان النبيل
إذا رحتم وخلفتم هبلتم ... لغرثان فلا راح القبيل
فرحتم بالغنائم حين رحتم ... وبان بموته الغنم الجليل
تركتم ذا الحفاظ وذا السرايا ... وراءكم أضلكم الدليل
فقل لنويرة وكليب مهلا ... أقيما إن خزيكم طويل

والثورة فى نفس المرأة لاتخمدها الا ثورة مضادة ، أو طاعتها فيما تراه . وهذا ماكان يجعل لها الدور القوى حال اشعال الحروب واثارة الجيوش ورفض

---

(١) شاعرات العرب ٢٤ .

الصلح القائم على دفع الديات . وليقاتل الجميع حتى الفناء ارضاء لحماستها وتحقيقاً لرغبتها التي لاتحمد .

فهذه كبشة بنت معدى كرب . يحكى أن عبدالله بن معدى كرب مر براع للمجزم بن سلمة من بني مازن فاستسقاه لبناً . فأبى . واعتل عليه ، فقتله عبدالله فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه . وجاءوا إلى عمرو بن معدى كرب فقالوا : إن أخاك قتله رجل منا سفيه . ونحن يدك وعضدك نسألك الرحم إلا أخذت الدية ما أحببت . وهم عمرو بذلك . فغضبت اخته كبشة وقالت . (١)

أرسل عبدالله إذ حان يومه ... إلى قومه لاتعقلوا لهم دمي(٢)
ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكراً ... وأترك في بيت بصعدة مظلم
ودع عنك عمراً إن عمراً مسالم ... وهل بطن عمرغير شبر لمطعم
فإن أنتم لم تثأروا واتديتم ... فمشوا بآذان النعام المصلم
ولا تردوا الا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن على الدم

فهذه إثارة متأججة ونفس ترمى قومها بأحط الصفات إذا قبلوا دية مقتيل وما أشد على العربي أن يسلب شرفه أو يحط من شأنه بهذا اللون الذى ناءت به قومها واثارت حفيظتهم . إنه شعور المرأة النفسى متى حاق بها مايؤرقها أو يسئ اليها فعليها أن تدفعه بسلاح غير هذا لعجزها وتستنجد بنفس ملؤءة بالدهاء لدفع المكروه وصد الأذى . فهى الحرب لامحالة .

---

(١) الحماسة ١ / ٧١ .

(٢) عقلت فلانا : أعطت ديته ، الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل مابلغ ستة أشهر ، صعدة : خلاف باليمن ، بيت مظلم : كانوا يعتقدون أن القتيل إذا هدر دمه ولم يثأر له يبقى قبره مظلما ، ترمل وارتمل : إذا تلطخ بالدم .

حـ — المرأة تشعل الحرب نفسيا :

أما اشعال الحروب بين القبائل فى العصر الجاهلى عن طريق النساء فكان أوضح مثل فيه قيام حرب البسوس بين بكر وتغلب . والتى اشعلتها البسوس ابنة منقذ البكرية . والتى كان لها جار من جرم يقال له : سعد . وكان له ناقة يقال لها : السراب . وكان كليب قد حمى أرضاً من العالية . فلم يكن يرعى فيها غير ابل جساس بن مرة بن ذهل الشيبانى فخرجت يوماً ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب . فنظر كليب لها فأنكرها ، فرماها فأصابها ، فلما رآه سعد صاح فخرجت البسوس ونظرت إلى الناقة فنادت واذلاه وانشأت تقول :

لعمرك لو أصبحت فى دار منقذ ... لما ضيم سعد وهو جار لأبياتى
ولكننى أصبحت فى دار معشر ... متى يعد منها الذئب يغدو على شاتى
فياسعد لاتغرر بنفسك وارتحل ... فإنى فى قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادى اليك فإننى ... محاذرة أن يغدروا ببنياتى
وسر نحو جرم إن جرماً أعزة ... ولاتك فيهم لاهيا بين نسوات
إذا لم يقوموا لى بثأرى ويصدقوا ... طعانهم والضرب فى كل غارات
فلا آب ساعيهم ولاشد فقرهم ... ولا زال فى الدنيا لهم شر نكبات

فلما سمع جساس قولها سكتها ، وقال : أيتها المرأة ليقتلن غداً جمل هو أعظم عقراً من ناقة جارك . ولم يزل جساس يتوقع غرة كليب حتى طعن كليباً ودق صلبه . ونشبت الحرب بين قبيلتى بكر وتغلب واستمرت أربعين سنة (١)

ولم يقف دور المرأة فى الحرب النفسية فى العصر الجاهلى على الرثاء أوطلب

---

(١) شاعرات العرب ٣٤ .

الثأر . او إشعال الحروب من جديد . بل كان لها دور ايجابى وهو الحث على القتال والتفانى فى الدفاع وتشجيع المحاربين بالوعود الذاتية والنفسية القوية الأثر . مما كان يجعلهم يلقون بأنفسهم فى أتون الحرب غير هيابين أو مبقين على شئ إلا إرضاء النساء وتحقيق رغباتهن .

وكن يحسن بضروب شتى . فهن أحيانا يلهبن العواطف بأناشيدهن المشجعة . كأنهن قواد يكبون فى قلوب الجنود حميا البطولة . وأحيانا يضربون على الدفوف كأنهن فرقة موسيقى حربية . وتارة يثرن إقدام الرجال بنظراتهن إلى بلائهم . وشهودهن إقدامهم .(١)

ولعل المرأة ادركت قيمة الأناشيد الحماسية فى الحروب منذ العصر الجاهلى كما أدركها علماء النفس الحربى بقولهم : إن الجيش الذى لاغناء فيه ولا نشيد حماسيا يخسر من روح القتال بنسبة خسارته الناشئة عن عدم الإستجابة للموسيقى . فلا توجد قوة فعالة لتنمية الإنتماء فى الجيش كالأغانى الوطنية (٢)

فإتخذت نساء قبائل عديدة فى مواقف حربية متكررة نظم هند بنت طارق فيما شجعت به قومها ضد كسرى — نشيداً حماسيا يتناقلنه على مسامع المحاربين قبل الدخول فى المعركة حثاً لهم للإقدام والبلاء الحسن معلنات جائزة الفوز حسن اللقاء وطيب الحياة التى يحلم بها كل إنسان ؛ ومحذرات من القطيعة ؛ والفراق حال الخذلان والهزيمة وتلك قوة نفسية لها تأثيرها فى النفوس ويحرص عليها كل مقاتل حتى ينعم بطيب الحياة (٣)

---

(١) المرأة فى الشعر الجاهلى ٢٠٤ .

(٢) علم النفس العسكرى ١١٣ .

(٣) الأغانى ٢٠ / ١٤٤ .

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
والمسك في المفارق مشي القطا النواتق
إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وافق

وقد ذاع أثر هذا النظم في نفوس المحاربين حتى استخدمته هند بنت عتبة (١) يوم أحد في تحميس قريش ضد المسلمين بعد أن أدركت قيمته في الجاهلية .

لقد أدركت المرأة العربية في الجاهلية بذكائها أنها تستطيع أن توافق بين الشخصية المحاربة والمواقف التي تحياها عن طريق مايسمى في علم النفس بالإدماج فاستطاعت بتحميسها له أن تجعله يمتص موضوعات العالم الخارجي ويدخلها أو يبتلعها في ذاته . وطالما ابتلعت الموضوعات التي يهتم بها الفرد فأصبحت داخل ذاته فإنه يستطيع أن يوجه عندذاك اهتماماته ودوافعه التي كانت موجهة أصلا إلى موضوعات في العالم الخارجي إلى ذاته هو حيث أصبحت تلك الموضوعات جزءا من ذاته . وهذا يساعد الفرد أن ينفصل عن العالم الخارجي ويتمركز حول ذاته يوجه اليها اهتماماته ويجد فيها إشباعاته (٢) . فيقدم في المعركة اشباعاً لحاجاته ووجوداً لذاته المرموقة من قبل المرأة والراغبة في بقائها قوية مدافعة وكأنها الحصن الذي تحتمي به ولا وجود لحياتها بدون حماية الرجل وحفاظه عليها ومن ذلك قولها : (٣)

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ١٥ .
(٢) الشخصية ومبادئ علم النفس ٦٥ .
(٣) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٠

ويهـا بنى عبـد الـــــدار ويهـا حمـــاة الأدبـــار
ضربـــاً بكل بتـــار

وقد أدرك أذكياء القواد دور المرأة فى تحميس نفوس المقاتلين مدعوها للمزيد . وحثوهم على سماع نصحها وجعلوها غاية لبطولتهم وبلائهم البلاء الحسن فى الحرب . ومن ذلك ماقاله الحارث بن أبى شمر الملك الغسانى فى حربه ضد المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة فى يوم حليمة حين وجدأن الحرب قامت بينهما أياماً وهى سجال . فأمر ابنته أن تطيب جنوده . ثم نادى يافتيان غسان . من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى . فاستشاط لبيب بن عمرو الغسانى شجاعة وشد على المنذر فقتله ، ثم قاتل حتى قتل (١)

وكانت النساء يعنفن من فر من ساحة القتال أو تخاذل عن حرب العدو ويقدمن اليه مكحلة ومجمرة ويقلن له : معنا فأنزل أى أنه صار من النساء فلا قبل له بالحرب ونارها التى تتطلب الشجعان . مما يجعله يعرض عنهن ويندفع للحرب لايبالى . وقد شهدت أيامهم العديد من هذه الصورة ومن ذلك ماقالته هزيلة امرأة من طسم حين تخاذل قومها عن نصرة الحق والوقوف فى وجه الباطش بهم والمذل لنسائهم والعابث بأعراضهم (٢)

أيجمـل مايؤتى إلى فتياتكـــــم وأنتم رجال فيكـم عـدد النمـل
ولـو أننا كنـا رجالا وكنـــــتم نساء لكنـا لانقـر بذا مفعـل
فموتـوا كـراماً أو أميتواعدوكم ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وإلا فخلـوا بطنهـا وتحملـوا إلى بلـد قفر وموتوا من الهـزل

---

(١) الكامل لابن الأثير ١ / ٢٢٣ .
(٢) أيام العرب ٣٩٧ ( يوم جوليس ) محمد جاد المولى وآخران

فللبين خير من تمادٍ على أذى ... وللموت خير من مقام على الذل
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء لا تعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما ... خلقتم لأثواب العروس وللنسل
فبعداً وسحقاً للذى ليس دامعاً ... ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

ولا تقف وظيفة الحماس النفسى من المرأة فى العصر الجاهلى للمحاربين على الإثارة واستشعار الهمم فحسب ، بل تتعداها إلى الإشادة والفخر بموقف القبيلة بعد الإنتصار ، وهى بعيدة النظر بهذة الإشارة حتى إذا كانت حروب لاحقه تذكر المقاتلون إشارة النساء فيما مضى وتخليد ذكرهم حال الانتصار فيشتد بذلك أزرهم ، وتمتلئ قلوبهم شجاعة واقداماً فسيسجل لهم التاريخ مجد الفخار بالإنتصار كما سجل لجماعات المحاربين من قبلهم : وتتناقل القبائل ماقيل فيهم خاصة على السنة النساء اللائى تنتزع منهن الشهادة بالشهامة والبطولة والاقدام والإعجاب النفسى .

ومن ذلك ماقالته عاتكة بنت عبد المطلب فى فخرها بيوم عكاظ (١)

سائل بنا فى قومنا ... وليكف من شر سماعه
قيساً وماجمعوا لنا ... فى مجمع باق شناعه
فيه النسور والقنا ... والكبش ملتمع قناعه
بعكاظ يغشى الناظرين إذا هم لمحوا شعاعه
فيه قتلنا مالكاً ... قسراً وأسلم رعاعه
ومجدلا غادرته ... بالقاع تنهشه ضباعه

إن المتتبع للحرب التى دارت بين العرب والفرس فى العصر الجاهلى يجد أن أشدها ضراوة كانت حرب « ذى قار » ولم تكن متكافئة العدة الحربية

---

(١) الحماسة ٢ / ١٣٠ .

أو فى عدد الرجال . إذ كانت جيوش الفرس تفوق مقاتلى العرب ، ولكن كان الاستعداد النفسى لدى محاربى العرب وحماستهم وأسباب مقاتلة كسرى وجنده خير حافز لهم للتقدم والانتصار فى تلك المعركة والتى ربما يكون من أهم أسباب نصرة العرب فيها ذلك الدور البطولى الذى قامت به امرأتان من نساء العرب . نظمتا الشعر تحميساً وتبصرة للجنود العرب بتحقيق النصر وإبعاد شبح العار والذل عن قبائل العرب . وكانتا تدوران حيث دارت كل أبعاد المعارك وكان لها أكبر الأثر فى النصر على كسرى وجنوده .

أما المرأتان فهما هند بنت النعمان بن المنذر المشهورة بالحرقة . وصفية ابنة ثعلبة الشيبانى . وكان كسرى أراد أن يتزوج الحرقة بعد أن قتل أباها النعمان فرفضت الزواج منه . ولجأت هاربة إلى بوادى العرب . فأجارتها صفية(١). فأرسل كسرى صوائح فى بلاد العرب . أن برئت الذمة ممن يحمى أو يأوى الحرقة . فلما بلغها ذلك التحذير والتهديد أنشأت تقول : (٢)

لم يبق فى كل القبائل مطمع ... لى فى الجوار فقتل نفسى أعود
ما كنت أحسب والحوادث جمة ... أنى أموت ولم يعدنى العود
حتى رأيت على جراية مولدى ... ملكا يزول وشمله يتبدد
وغشيت كل العرب حتى لم أجد ... ذامرة حسن الحفيظة يوجد
خاب الرجا ذهب العقول الوفا ... لا السيل سهل ولا نجود أنجد
جمدت عيون الناس من عبراتها ... وقلوبهم صم صلاد جلمد
لا يرحمون يتيمة مخرونة ... مقتولة الآباء نضوا تطرد

---

(١) شعراء النصرانية ٢٣ .
(٢) شاعرات العرب ٦٦ .

تبغى الجوار فلا تجار وقيل ذا كان المنادى للجوار يسود

فما أجرتها صفية الشيبانية رأت هند أن تقف بكل عزمها وارادتها ضد كسرى وجنوده . فحين اشتد القتال بين العرب والعجم رأى العرب المحاربون عمرو بن ثعلبة الشيبانى أخو صفية . فسفرت الحرقة بنت النعمان بين يديه وقالت توصيه وتحرضه ومن معه من الجنود ليردوا كيد كسرى وجنوده فى نحورهم وينتصروا لأبيها وأهلها من قبل : (١)

حافظ على الحسب النفيس الأرفع بمد جحين مع الرماح الشرع
وصوارم هندية مصقولة بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب من خيلكم معروفة بالسبق عادية بكل سميذع
واليوم يوم الفصل منك ومنهم فاصبر لكل شديدة لم تدفع
ياعمرو ياعمرو الكفاح لدى الوغى ياليث غاب فى اجتماع المجمع
أظهر وفاء يافتى وعزيمة أتضيع مجداً كاد غير مضيع

وما أحسن أن يستنجد بالأبطال ويلجأ إلى جوارهم . وتلك الحماسة التى عبرت عنها هند بنت النعمان كانت بمثابة العدة النفسية القوية التى حفزت عمرو الشيبانى وقومه حميتهم للدفاع عنها وعن قومهم .

أما شجاعة المرأة واقدامها على الأمور دون تهيب فقد ظهرت فيما أفاضت به صفية الشيبانية على قومها من قولها حين أعلنت إجارتها لهند بنت النعمان فى غير تهيب أو اخفاء . وقام جنود شيبان يحاربون كسرى وجنوده . فقالت تعلن الإباء النفسى وتشحذ الهمم للاستماتة فى الدفاع عن قومها وجارتها : (١)

---

(١) شاعرات العرب ٦٨ .
(٢) شاعرات العرب ١٩٠ .

يـاآل شيبان بعد اليـوم لاصـدر ... عن الكفاح وضرب متلـف القمم
إنى وعمـراً على وعـد يفىٰ بـــه ... من الوفاء واسبـاب مـن لـذم
قولوا لكسرى : أجرنا جارة فثوت ... فى شامخ العز ياكسرى على لرغم
نحن الذين إذا قمنا لـداهيـــة ... لم نبتدع عندها شيئاً من النـدم
نحـوط جـارتنا من كـل نائبـة ... ونرفد الجار مايرضى مـن النعـم

وحين أرسل كسرى جيشاً قوامه عشرين ألفا وقفت صفية تدعو أخاها وتحرضه ورجاله على خوض المعركة وعدم الرهبة من كسرى وجنوده (١)

ياعمرو ياعمرو أجبنى ياابن ثعلبـة ... ياشبه بـراق يـوم القتـل والسلب
لأجـل عشرين ألفاً أضح صارخـة ... فى آل بكر وذا شئ من العجـب
لا تكشفونى بهذا اليوم وارتقبـوا ... يـومى لوقت اجتماع العجـم والعرب

وفى اليوم الرابع من قتال كسرى وقفت صفية الشيبانية بذى نار وقد جمعت الفوارس من قومها حول أخيها ورأسته عليهم . وبجانبها الحرقة بنت النعمان وقالت تحمسهم . (٢)

يـاعمرو يـامن قـد أجار الحرقـة ... يارأس شيبان الكمـاة المعـرفـة
يـا فارس العـاديـة المحققـــة ... اليـوم يـوم مـا العيـوذ أرقـة
إذا رأت فيـــه دمـــاء مهـرقـــة ... والعجم صرعى جمعهـــم مفترقـة
مقتولة تنفر شتى قلقـــــــة ... أدرك شهابـا فهـو اليـوم الثقـة
أكـرم خيلى من سعى أو لحقـه

ولم يقتصر حديث صفية لأخيها عمرو من دون الرجال من بنى شيبان ، بل

---

(١) شاعرات العرب ١٩٢ .
(٢) شاعرات العرب ١٩٩ .

كانت تحمس الأبطال وتناديهم بأسمائهم وتدفعهم للقتال دون هوادة أوتراجع فها هى تحمس أبا جداية أحد أبطال معركة ذى قار بقولها : (١)

أيهاً جداب سيد الأعراب يامعدن الطعان والضراب
يا طيب الأحساب والأنساب قم لى مقام سيدى شهاب
يا عزم والحزم وبالعذاب شمر وقم ياويلك فى النقاب
قد حل دينى واقتضى حسابى

وحين تكاثرت جنود كسرى على العرب فى ذى قار وكاد العرب ينهزمون قامت صفية الشيبانية فقطعت الحبال فسقطت النساء عن الجمال ورأى رجالهن ذلك فعطفوا على القتال عطفة من لايرجو الحياة وصاحت صفية بأعلى صوتها تنادى أخاها : (٢)

ياعمرو ياعمرو الفتى ابن ثعلبة حام على جارتك المستقربة
وزاحم العجمان عند العقبة

ولم ينته الأمر عند مقابلة بكر لجنود كسرى بل اندفعت القبائل العربية العديدة تناصر بكراً . واصطف الجميع فى وجه جنود كسرى ، فما كان من الشاعرة صفية الشيبانية إلا أن تبث فى نفوسهم الحماس .وتستنجد بشهامتهم وتدفعهم للقاء العجم والفتك بهم . فها هى تحمس بنى ذهل وتحضهم على الإقدام للقتال ضد كسرى وجنوده . مستخدمة ذلك السلاح النفسى القوى التأثير : (٣)

---

(١) شاعرات العرب ٢٠٠ .
(٢) شاعرات العرب ١٩٧ .
(٣) شاعرات العرب ١٩٦ .

اليـوم يوم العز لايوم النـــــدم  يـوم رمـاح وجياد وصـــدم
يـــوم بـه الأزواج جهراً تبطلـم  سوف ترى البيض غداة المبتسم
للوائليات الـــتى تحمى البهـــــم  يـاآل بكـر لا تهلكـم العجـــم
مـن الذى يحمى الخيام والنعـــــم  ومن يطاعـن تحـت سربـال القـتم

إن صبرت ذهل فعزى اليوم تم

ثم جاءت بنى شيبان فسارت وهم من خلفها وتقول : (١)

إيها بنى شيبان صفا بعد صـــــف  مـن يـرد العلياء لم يخش التلـف
من حاذر المـوت تنحى ووقـف  إن الشجاع باسل فيه الصف
إن تقبلوا نظفـــر ونحذر ونخـــف  وفى الفرار يولجوا فينا الأكـــف
اليـوم يوم العز موصوف الشـرف  إن حافظت قومى فما بى من أسف
أنـا ابنـة العز وعرضى اليوم عـف  بكل نصل كالشهاب المختطـف

نخطف قوماً قد عفونا بسـرف

ثم قالت لهم أتستقيمون وتصرون أم استنجد لى ولجارتى بقبائل غيركم وأريكم العز الأعز والعديد (٢) وفى هذا غاية الاثارة وحفز الهمم للقتال .

إيهـاً أجيبـوا بنى بكر حجيجتكم  ماعندكـم ويحكم من غاية الخبر
يـا أيهـا الشم أنـتم حافظوا ذمى  وأنـتم فلعمرى العز من عمرو
أمـا صبرتم فـلا أدعـو لغيركم  وإن جزعتم أنادى كل ذى خضر
بكـل سام إلى الهيجاء ذى شـرف  وارى الزناد كريم الجـد من مضر
ذى مرة لايخاف الجند إن كثـروا  فى سادة قـادة معروفـة صـابر

---

(١) شاعرات العرب ١٩٧ .
(٢) شاعرات العرب ١٩٥ .

ذى مرة لايخاف الجند إن كثروا  فى سادة قادة معروفة صبر

وخاطبت الشاعرة صفية الشيبانية بنى حنيفة حين جاءوا مدداً لبكر (١)

إيها أجيدوا الضرب يا حنيفة  فأنتم الجمجمة الشريفة
أهل اللقاء والعمدة المعروفة  والعدة المنسوحة الموصوفة
حامى على أعراضك النظيفة  الطاهرات وبحك العفيفة
إن الجنود حولكم كثيفة  فلا تهلكم وتزدكم خيفة

ثم أقبلت على بنى لجيم فقالت :

لجيم قومى وبنو أبينا  ليسوا لدى الهيجا مغلينا
بل ظافرون وحماة فينا  العز فيهم حين يلجمونا
ويسرحون ثم يحملونا  إيها بنى الأعمام فانصرونا

ثم أقبلت على بنى عجل وفيهم أبوها وأخوها :

الفخر فخرى بسراة عجل  هم معشرى فى نجدهم والسهل
هم السراة وحماة الأهل  والفائقون بشريف الفعل
والمنعمون بشريف البذل  والناقمون بعريض الرحل
إيها أبيدوا جمعهم بالقتل  ولا تكونوا غرضاً للنبل
واختطفوا فيهم بغير مهل

واستمرت صفية الشيبانية فى تحميس الوفود المناصرة لقومها تدفعهم بالكلمة وتحضهم على الاستبسال فى الدفاع وحسن المقاتلة ، وكأنها تدير المعركة ضد كسرى وجنوده ، فقالت حين جاء وفد بنى يشكر وعليهم ظليم بن الحارث

---

(١) شاعرات العرب . ١٩٦ .

مدداً لقومها ضد كسرى وجنوده : (١)

احمل ظليم فى العجاج الأسود ... ففيه عمرو كالحزبر الأربد
يضرب بالمشطب المهند ... لساعد ذى نجدة مؤيد
أدرك فأنت غاية المستنجد ... وأعد على القوم كعدو الأسد
بنى حنان كالصفاء الأصلد ... باليشكريين كرام المحتد

فهجم اليشكريون . وفرجوا عن شيبان . واشتد القتال ثم افترق الجمعان وفى اليوم الثانى اجتمعت صفية بالطميح سراً فقالت له تحرضه على خذلان كسرى :

ليس للعجم نصرة فى عشيرى ... إن أراد الطميح نجل الكرام
إن تولت لنا إياد انهزاماً ... كان منهم هزيمة الأعجام
وملكنا العلو والفخر طول الدهر حتى وآخر الأيام
إن نصر الطميح أكرم نصر ... وحنو على بنى الأعمام

وهكذا كان للمرأة الدور الكبير فى حرب العرب فى العصر الجاهلى مما قدمته من تحميس وعدة نفسية لاقبل للناس بها من قبل حتى عادت الحرقة بعد الفوز بذى قار تشيد بقوة العرب وجسارتهم وفوزهم على كسرى وجنده(٢).

رغمنا بعمرو أنف كسرى وجنده ... وما كان مرغوماً بكل القبائل
وهذا قصارى الأمر فاحمل محسرا ... لكميك ما بين الظبا والنوابل

---

(١) شاعرات العرب ١٩٨ .
(٢) شاعرات العرب ٦٨ .

# الفصل الثالث

## نبذ الحروب ومخلفاتها

### أ ـ نبذ الحروب من العدة النفسية :

كما علمتنا تعاليم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أنه ليس القوى بالصرعة ولكن القوى من يحكم نفسه عند الغضب وجدنا هذه الخصلة الإنسانية فى فكر حكماء العصر الجاهلى . فرغم ماعاشوا فيه من شظف الحياة وقسوتها . وجسارة الطبيعة وعدم رحمتها . والصراع الدائم على مصادر الحياة ومواردها والجدب الزاحف وماخلفه من فناء لسبل الحياة مما دفعهم إلى التطاحن فى حروب دائمة وجدنا هناك طائفة من الناس تعقلوا الأمور وحكموا الأفئدة ومالوا إلى استخدام عدة نفسية أقوى من تلك التى تسلح بها دعاة الدم والدمار .

فكما سبق فى العرض للعدة النفسية عند رجال الحرب وممتريها كان لموقف العقلاء نظرات صائبة فى إخماد جذوتها والحفاظ على البشرية . ولم يستخدموا فى ذلك أسلوباً حربيا مضاداً . أو حتى نقض كما يقال بلغة عصرنا ولكنهم مالوا إلى تحكيم العقول والتبصر فى الأمور واستدعوا كل حصيلة الخير فى النفوس ووجهوها وجهة نافعة معلنين أنهم مع قوتهم النفسية وحنكتهم الحربية قادرون على الوقوف بناء مرصوصاً أمام مهيجى القوم ومشجعى سفك الدماء بما حباهم الله به من قوة عزيمة وصدق ارادة فى أن يسود السلام أرض الجاهلية . وتعم الفرحة قلوب الثكالى وتبذر بذور المحبة بين الناس جميعا .

إن مقالة العلامة ابن خلدون عن عرب البادية من أن : طبيعتهم إنتهاب مافى أيدى الناس وأن رزقهم فى ظلال رماحهم . وليس عندهم فى أخذ أموال

غيرهم حد ينتهون اليه . بل كلما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون نهبوه : قول ينبغى الوقوف عنده وتفنيده بشئ من العدالة . فلم يكن المجتمع القبلى العربى فى العصر الجاهلى كله بهذه الصفات . فلا يجب إطلاق حكم جماعة على الكل . فكان فيهم الكريم للضيف والمحافظ على الجار . والمتحشم فى القول . والعاف عن الدنايا . والصادق فى وعده . والموفى بالميثاق ، والمترفع عن كل مايشين إنسانيته . ولو كان مجتمع نهب كله أو سلب فى معظمه لأنهى بعضه بعضاً . ولكن جملة حروبهم كانت ترجع فى معظم أسبابها إلى حب غريزة البقاء التى كانت تدفع بعضهم إلى نهب جيرانهم . وإن ما يملكه الإنسان لاينبغى لأحد أن ينتزعه منه ولو بحد السيف ومنهم من اعتبر الغزو قيمة من القيم البدوية مما دفع البدوى إلى اعتبار العدوان إحدى مفاخره ، كما كان طلب الثأر أحد الأسباب المهمة لقيام الحروب القبلية . كما قد تؤدى اليها التحالفات القبلية وعمليات الإجارة ومااليها ، ويرجع بعضها إلى أسباب سياسية وهى الرغبـــة فى السيطرة على طرق القوافل التجاريةأو إلى أسباب التفاخر واستظهار الشجاعة (١)

فإذا كانت كل هذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة قد وجدت فى محيط القبيلة العربية فى العصر الجاهلى فإن عوامل البقاء وأسباب إخماد نار الحرب قد اينعت بجانبها ، واتخذت مكانها فى النفوس وهيأ الله من القوم من يقف بعدة نفسية قوية ينفر منها وينذر بخطورتها ويطفئ لهيبها .

ولقد اتضح من العرض السابق للعدة النفسية لدى المحارب فى العصر الجاهلى أنه كان يخضع لمقاييس الشخصية المحاربة التى اتفق عليها علماء علم

---

(١) علم الإجتماع البدوى ٣٠٦ .

النفس الحربى والعسكرى . أما الجانب النفسى فى تلك الشخصية التى تنبذ الحرب وتدعوا إلى السلام فيمكن أن يكون ذلك الذى لانكاد نحسه إلا إذا ترجم إلى سلوك أو نشاط أو مظاهر تكون طريقنا غير المباشر للتدليل عليه ولدراسته فى نفس الوقت . (١)

وفى رأى الباحث أن هذه الفئة التى اتخذت سبيلا مغايراً لما اتفق عليه رجال الحرب . وهبوا يجندون أنفسهم بعدة نفسية لإطفاء نار تلك الحروب فى العصر الجاهلى — وهم صفوة الرجال الحكماء والشعراء — هم الذين ارتفع عندهم مقياس مكونات الجانب النفسى فى شخصياتهم من الاستعداد العقلى العام والاستعداد الخاص والاتزان النفسى (٢) .وسعوا بعد تجارب عديدة رأوها أمام أعينهم أن السلام هو خير السبل إلى الحياة الفاضلة . وأن مايعرضه الأقوياء جسمياً أو المنحرفين ذهنياً من دماء تنزف ونفوس تزهق نزوة طارئة ينبغى وأدها فى مهدها .

ولم يكن العربى فى العصر الجاهلى بالشرير دوماً أو المعتد فى كل ظروف حياته . بل وهبه الله عقلا يفكر به فيما ينفعه وما يضره متى ركن إلى التفكير المنظم وابتعد بنفسه عن مزالق الشر والسوء فرأى أن مشعل الحرب فى الأعداء يجعل وقودها أول الأمر دماء قومه وعشيرته حتى يرتفع لهيبها وتتسع رقعتها فتمتد إلى الأعداء والأصدقاء على السواء فـــلا تبقى ولاتزر ولا تفرق بين الأشخاص .

إن نداء العقل الذى اتخذه بعض شعراء العصر الجاهلى عدة نفسية فى اخماد

---

(١) الشخصية ومبادئ علم النفس ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ٣٩ .

نار الحروب كان له الوقع الطيب فى نفوس الخاربين والمتخاصمين على السواء فقد أضعفت الحروب القبائل وهددتهم بالفناء . فلما ارتفع صوت الشعراء محذرين الناس من كيد بعضهم لبعض . ومنبهين إلى أن الحرب غول كول لاتشبع من جثث الرجال ولا يسد طريقها إلا الحكمة والعقل وقف الجميع يستمعون ويتبعون ما أشار به الشعراء عليهم .

فهذا عمرو بن معد يكرب الشاعر الجاهلى الذى جرب الحروب وعاصر اشعالها وأدرك ما قاساه الناس منها . وما خلفته لهم من كآبة وفجيعة أبد الدهر وماورثتهم من ألم لايزول الا بالموت ؛ فسعى بين الناس يدعوهم بدعوة نفسية إلى إخماد حروبهم والبعد عن لظاها ؛ مصورها فى أبشع الصور النفسية التى ينفر منها الأباة وتخشاها الضمائر . (١)

الحرب أول ما تكون فتيـــة  تسعى بزينتهـا لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامهـا  عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسهـا وتنكرت  مكروهة للشم والتقبيل

أما قيس بن زهير فيذم الحرب وإشعالها ويحذر القوم منها معلنا نقمته على من بعثها أول الأمر وجعلها ميراث الشر تتناقله القبائل حتى سقى القوم منها مراً وشراً على مر الأجيال والقرون (٢)

لحا الله قوماً أرثوا الحرب بيننا  سقونا بها مراً من الشر آجنا

والشاعر نفسه يعرض لنا صورة من يسعى بين الناس يحرضهم على شعال نار الحرب . ويحذرهم من اتباع شيطانه إذ لاخير من دعواه وانما الخير كل

---

(١) العقد الفريد ١ / ٩٤ .
(٢) النقائض ١ / ١٠٠ .

الخير فى تحكيم العقل وإخمادها بكل الطرق الممكنة . ويدعو الى السلم طريق الرشاد والفلاح . والعاقل من اتعظ بغيره ولم يتبع هواه (١)

يـوم سنان لو نحارب قـومنـا ... وفى الحرب تفريق الجماعة والازل
يـدب ولا يخفـى ليفسد بيننـا ... دبيباً كما دبت إلى جحرها النمل
فيا بنى بغيض راجعا السلم تسلما ... ولا تشمتا الأعداء يفترق الشمـل
وإن سبيـل الحـرب وعرمضلـة ... وإن سبيل السلم آمنـة سهـل

وهذا شاعر من بنى أسد ينعى على فريقين من قومه شبوا نار الحرب بينهم فيقف داعياً للسلم ونبذ تلك المهلكة . ويرى تحكيم العقل فى الفناء الذى يدب اليهم جميعا . ويصرح لهم أن شرها مستطير . وآلامها أبد الدهر وتجارتها كاسـدة مفسدة والويل لمن يصطلى بها . وطوبى لمن أخمد جذوتها وأبعد الناس عن طريقها (٢)

كـلا أخوينا إن يـرع يدع قومـه ... ذوى حامل دثر وجمع عـرمرم
كـلا أخوينا ذو رجـال كأنهـم ... أسود الشرى من كل أغلب ضيغم
فمالرشد فى ان تشتروا بنعيمكـم ... بئيساً ولا أن تشربوا الماء بالـدم

فتلك دعوة طيبة لنبذ الحرب واخلاء سبيلها .

وكما عبر الشعراء فى العصر الجاهلى عن بشاعة الحرب وماتجلبه للإنسان من مهلكة مؤكدة كانت دعواهم الى ايقاف سفك الدماء بين القبائل المتحاربة وتبصير المحاربين بالمصير المحتوم . سواء كانوا غالبين أم مغلوبين . ففى أى الحالتين ضحايا وإن اختلفت النسب .

---

(١) الأمثال للميدانى ٢ / ٥٨ .
(٢) الحماسة ١ / ٨٧

فهذا مالك بن عوف النضرى يقول مهدئا النفوس وداعياً إلى تحكيم العقل حيث نشبت الحرب بين بنى سليم بسبب ماوقع بين خفاف بن عمير و لعباس بن مرادس . (١)

سليم بنى منصور دعوا الحرب إنما ... هى الهلك للأقصين أو للأسارب
ألم تعلموا ماكان فى حرب وائل ... وحرب مراد أو إلؤى بن غالب
تفرقت الأحياء منهم لجاجة ... وهم بين مغلوب ذليل وغالب

وكذلك انبرى الأعشى الشاعر الفحل فى الجاهلية يدعو إلى نبذ الحرب وايقاف نزف الدماء بين القبائل مستخدماً السلاح النفسى والعدة القومية مبينا مخلفات الحرب من ثكالى ويتامى واحباط نفسى يلحق الناس جميعه مهما كانت النتائج : ويؤكد على الإخاء الذى يضيع ويهدر بسبب الطيش الذى يصيب البعض ويدفعه إلى اشعال الحروب المدمرة . ويدعو القوم بلفظ العمومة وماتحمله من صلة الرحم . ويضرب على وتر وشائج المحبة بين الناس وعنصر البقاء الذى ينبغى التمسك به والبعد عن عوامل الهدم والفناء . فمن طعن أخاه الإنسان أو قتله فكأنما طعن ذاته أو قتل نفسه (٢)

بنى عمنا لاتبعثوا الحرب بيننا ... كرد رجيع الرفض وارموا إلى السلم (٣)
وكونوا كما كنا نكون وحافظوا ... علينا كما كنا نحافظ عن رمم (٤)
نساء موالينا البواكى وأنتم ... مددتم بأيدينا حلاف بنى غنم
فلاتكسروا أرماحكم فى صدوركم ... فتغشمكم إن الرماح من الغشم

---

(١) الأغانى ١٦ / ١٣٦ .
(٢) ديوان الأعشى ٣٠٥ .
(٣) الرفض : الإبل الراعية .
(٤) رمم : اسم حى .

وإذا لم يكن بين لوحات الشعر الفنى الرائق من دعوة نفسية إلى نبذ الحروب والتخلص منها فيكفى أن يكون فيه أبيات الشاعر الكبير زهير بن أبى سلمى . ذلك المدرسة الأولى فى الشعر من ورث وورث النظم وأجاد فيه ، وعاش بين رياضه حتى صار علمامن أعلام عصره بل من أوائلهم .

ولوحة زهير فى نبذ الحرب كانت ضمن قصيدة فى المدح لمن قام بإيقاف الحرب الطاحنة بين عبس وذبيان من دعائم العصر الجاهلى والتى استمرت سنين عاما لـقى فيها الناس جميعا أسوأ ما يلاقيه إنسان من مصير محتوم بالحزن والدمار ، فلما هيأ الله لتلك الحرب أن تضع أوزارها وتخمد جذوتها فـرح الجميع بذلك كل الفرح ، وعم البشر جحافل القوم ، واطمأنت النفوس فى المضاجع ، وأمن الناس على أموالهم وأعراضهم ودمائهم . فخاف زهير أن يكون تحت الرماد الحربى وميض جمر يشتعل إذا سنحت الفرصة لذلك ، وتشب النيران من جديد فلا تبقى على شئ ، فقام فى الناس منفراً من شرهـا ومحذراً من ايقاظ فتنتها بصور بشعة تهابها النفوس الأبية ، وترهبها الأفئدة الذكية ، ولا يقرب ساحتها كل من حكم عقله وعاد اليه رشده ، وهذا سلاح نفسى ضد الحروب وويلاتها .

ولم تكن حرب عبس وذبيان بينهما فحسب ، بل جاء أحلاف لكـل طرف حتى اتسعت رقعتها وكادت تصور الفناء والدماء للجميع ، فلما أخمدت بدأ زهير بالحديث النفسى مع الأحلاف أولا ثم ثنى بالطرفين الأساسين حتى يكون الصلح عن ثقة متبادلة . وانهاء الحرب عن تراض بين الجميع . وتلك خطة نفسية محكمة وحتى لاينعلل أحد من الطرفين بجلب رضاء أحلافه . فالكل فى وضح النهار فى صلح دائم ومحبة مستحدثة . فقال زهير بعد أن مدح

هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين قاما بتحمل الديات وتهدئة النفوس وإخماد لظاها : (١)

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعاً ... بمال ومعروف من الأمر نسلم
فأصبحتما منهما على خير موطن ... بعيدين فيها من عقوق ومأثم

° ° ° °

فمن مبلغ الأحلاف عنى رسالة ... وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ماف نفوسكم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
وما الحرب الا ماعلمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر إذا أضريتموها فتضرم
فتعركم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافاً ثم تحمل فتتئم
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم مالا يغل لأهلها ... قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ومما أحسن ما قاله أمية بن أبى الصلت معلنا نهاية الحرب بين تغلب وبكر من كبرى بطون العرب والتى راح ضحيتها العديد من الرجال والمتاع . فلما كانت النهاية المباركة بالصلح والمحبة بين الجميع كان على الشاعر أن يؤدى رسالته معبراً فى غبطة نفسية عما آل إليه حال الحيين وكأنى به يعرض فى إيجاز صورة واقعية لمن يبعث الحرب أو يفكر فيها حتى تعافها الأنفس وتنفر منها

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٢٣٠ .

الأفئدة . فالخير كل الخير فى هجرها والتقرب إلى الله بنبذها ومن يقدم عليها . وتلك عدة نفسية قوية .(١)

ألا قل للقبائل إن بكراً وتغلب بعد حربهم سنينا
أطاعوا الله فى صلة وعطف وأضحوا إخوة متجاورينا

وهكذا يمكن للباحث أن يقرر فى اطمئنان أن الشعر كان سلاحاً ذا حدين فى معالجة الحرب النفسية وعدتها التى يملكها كل إنسان ؛ فحين وقف جماعة من عرب الجاهلية أخذتهم العزة بالإثم ودعوا إلى سفك الدماء وإضاعة المال والتلاد والتبارى فى مضمار الفناء عن طريق الحروب والنزاع الدائم ؛ وقف جماعة يحاربونهم بنفس عدتهم النفسية يدعون إلى السلم ونبذ الحروب والدعوة إلى لم الشمل والإخاء وأن تسود المحبة وصلة الرحم . مندين بمن يبعث الشر فى إيقاظ الحروب مهيئين نفوس القوم لحياة تملأها السعادة وترفرف عليها أمارات السلام . وتلك دعوة الحق التى اضاءت للبشرية سبل السعادة فيما بعد الجاهلية بالإسلام .

والمحارب فى العصر الجاهلى لا يعرف المهادنة أو التأنى عندما يواجه خصمه فربما كان ذلك الخصم من أقرب الناس إليه . ولكن عندما يعرض له فلا محالة من أن يضربه ليصرعه . فصلة الرحم فى الحرب مقطوعة ؛ كما قطعت عند ميلاد الأنثى . والثأر وقتال الخصم أمر حتمى حتى لو كان هذا الشاخص ولد القاتل أو أخوه .

وهذا الموقف يورث الإنسان الحيرة النفسية فيما يتدبر من أمره ؛ فهذا الحرث بن وعلة قد قتل قومه أخاه ؛ فأصبح يقلب كفيه على ما أتوه فإن عفا

---

(١) ديوان أمية بن أبى الصلت ٦٥ .

عنهم رموه بالضعف والضعة . وإن أقبل عليهم يثأر كان ذلك آلم للنفس ولكنه أخف من عيب يرمى به فليتقدم لثأره حتى لا يعاب بوهن أو خور . (١)

قومى هم قتلوا أميم أخى ... فإذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمى

وتلك نفس الحيرة التى وقع فيها اعرابى قتل أخوه إبنا له ؛ فأصبح فى موقف لا يحسد عليه . كلاهما عزيز عليه ؛ والأمر جد عسير . فإن سكت عن الثأر فويل له من العيب . وإن أقدم عليه فطامة كبرى تلحقه بما قدمت يداه . ولكنها عادة الأخذ بالثأر . والعدة النفسية المضادة للمحارب والتى يمكن أن تصيبه بما يكره.(٢)

أقول للنفس تأساة تعزية ... إحدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

**ب ــ المخلفات النفسية للحروب الجاهلية :**

وكما تكون للحروب عادة مخلفات تتمثل فى الاستيلاء على أرض أو هدم منشآت . أو تحطيم عتاد حربى . أو تخريب مصادر الحياة . أو غنم عتاد صالح أو سبى وأسر للنساء والرجال . أو قتل وجرح للمحاربين الأبطال . فإن لها مخلفات نفسية عديدة ؛ تتمثل فيما تتركه من غصة للمهزومين . وتطاول للمنتصرين . وعيوب تلحق بمن لم يتدبروا أمرهم قبل اللقاء ويحسنوا العدة حتى يكتب لهم البقاء . فصاروا أشلاء ممزقة فى مناقير جارح الطيور . وجيفة تنالها ضوارى الصحراء ؛ وعظاماً تفتت تحت قسوة الصخور والنعال بعد أن

---

(١) ديوان الحماسة ١ / ٥٤ .
(٢) ديوان الحماسة ١ / ٦٦ .

كانوا عيونا للقوم ملء السمع والبصر . يهاب جانبهم . ويرهب موقفهم . ويطاع أمرهم . ويصان عهدهم .

فما أشق على أنفس الأباه أن يعيروا بما صار إليه حال صناديدهم وماأقسى اللوم والعتاب على من كان جنابه من قبل ذلك مهاب . ولكنها الحرب التى تقلب موازين الرجال . وتحطم أحلامهم حتى جعلت شاعرهم يقول : (١)

من يذق الحرب يجد طعمها مراً وتبركه بجعجاع

وقد دأب بعض شعراء العصر الجاهلى إلى تصوير المخلفات النفسية للحرب لما فيها من بشاعة تعافها النفوس ، ورعب يملأ القلوب ، وفزع يملك الأفئدة وهم بهذا يحاربون الإقدام على أشعالها حتى لا يصطلى الناس بنارها . وإن ألبسوا نظمهم أثواب الفخر والشجاعة فإن الهدف النفسى الأبعد هو تحاشى الدخول فى الحرب أو الإقدام عليها ، فالمصير بين جلى لكل من تسول لهنفسه أن يقدم عليها وما تصويرهم من قبيل الإبداع الفنى ولكنها رسالة الإرهاب وإنذار الرجل بالكف عنها . فرحاها لا تميز ولهيبها لا يختار .

فهذا عبيد بن الأبرص(٢) يقص علينا نهاية حرب وما خلفته من قتلى للشجعان حتى صاروا طعاماً للعقبان ، ونهباً للسباع . بعد أن كانوا يبطشون بكل من حولهم . فالآن تبدل حالهم وصاروا عبرة لأمثالهم . ويرمى الشاعر من وراء تلك الصورة إلى إبعاد الناس عن مهاوى الحروب حتى لا يكون مصيرهم فى بطون سباع الأرض ومناقير طيورها الكواسر . وتلك طعنةنفسية نافذة :

---

(١) حماسة لظرفاء ٥٨ .

(٢) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٥٩٨ / ٢ .

ولـرب سـيد معشـر ضخـم الدسيعة قدرمينا
عقبـانه بظـلال عقبـان تيمـم مانوينـا
حـتى تركنـا شلـوه جزر السباع وقد مضينا

وتلك صورة أخرى من المخلفات النفسية . فبعد القتل لا شيء يقدر . أو فزع يتصور . ولكن تنوح الظباء على القتيل بعد أن عرفن مكانته أمر يؤلم النفوس الأبية ويرهبها من التفكير فى الدخول فى الحروب حتى لا يكون مصيره كهذا الشجاع الذى تحول أثراً بعد عين حتى قال فيه الشاعر : (١)

وقـد أتـرك القـرن الكمى بصدره مشلشلة فـوق النطـاق تنـوح
دفـوع لأطـواف الأنامـل ثـرة لها بعـد إشراف العبيط نشيـح
إذا جاء سرب من ظباء يعـدنه تبـادرن شتى كلهـن تنـوح

وبين الشاعر الأفوه الأودى بعض المخلفات النفسية للحرب فيما كان بينهم وبين أعدائهم . وكيف أصبح القتلى من الأعداء وقد ورثوا نساءهم العويل والحزن الدائم . وليس ذلك فحسب بل أضاعوا متاعهم الدنيوى من إبل هى كل عدة العربى وثروته . وكأن القتلى من عيون الأعداء قد تركوا ميراث الشر لمن بعدهم . فى حين أن المنتصرين يفرحون بما حققوا ويرفعون الرؤس جزاء ووفاقا . وتلك امارات نفسية لما تخلفه حروب القوم ؛ ودروبهاملطخة بالدماء والعويل والفزع : (٢)

فسائـل جمعنـا عنـا وعنهـم غـداة الشيـل بالأسـل الطويـل
ألم نـترك سراتهـم عيـامى جثومـاً تحـت ارجاء الذيول (٣)

---

(١) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٢ / ٦٠٤
(٢) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٣٨٥ .
(٣) عيامى : جمع عيمان ، من ذهبت أبله وماتت امرأته .

تبكيهـا الأرامـل بالمـآلى بـدارات الصفـائح والنصيـل
وقـد مـرت كماة الحـرب منا على مـاء الدفينـة والحجيـل

ويشرك الشاعر المفضل البكرى (١) الغربان مع السباع فى الشبع من لحوم القتلى . فكانت الولائم التى تقدم للسباع والضباع من حيوانات الأرض وتأتى الغربان وتنادى جماعاتها من كثرة القتلى وثراء الولائم . وتلك صورة نفسية منفرة لمن تعقل ما تخلفه الحرب . فالبعد عنها وعدم إشعالها خير من حديث النفس بالدخول فيها . وكان يمكن أن ينهى الشاعر الصورة بكثرة القتلى . ولكنه أراد أن يكون لما رآه أبلغ الأثر النفسى عند المنتصر والمهزوم على السواء . ويجعله أسلوب تحذير نفسى لغيرهم .

فأشبعنـا السبـاع وأشبعـوها فراحت كلها تئـق يفـوق
تركنـا العرج عاكفـة عليهـم وللغـربان من شبـع نعيـق

وبنفس الصورة النفسية لمخلفات الحرب يحدثنا محرز بن المكعبر الضبى كيف أن قومه قدموا الطعام من أجساد القتلى لضباع الأرض التى أحاطت بالمعركة . فالويل لمن يحاربهم فمصيره معلوم مسبقاً . وفى ذلك تنفير من الدخول معهم فى الحرب فهم أشداء ورحاهم تطحن بلا هواده : (٢)

دارت رحانا قليلا ثم صبحهـم ضرب يصيح منه جلـة الهـام
ظلت ضبـاع مجيرات يلذن بهم وألحموهـن منهم أى إلحام (٣)
ساروا إلينا وهم صيد رؤوسهـم فقد جعلنـا لهم يوماً كأيـام

---

(١) الأصمعيات ٢٠٢
(٢) المفضليات ٥١٠ .
(٣) مجيرات : مكان تنسب اليه الضباع .

حتى حذنة لم نترك بها ضبعاً إلا لها جزر من شلو مدام
ظلت تدوس بنى كعب بكلكلها وهم يوم بنى نهد بإظلام

ولا تنته الصورة النفسية لمخلفات الحرب عند اطعام الضوارى والكواسر من جثث القتلى . بل صور الشعراء بمهارة نفسية السبايا وهن فى القيود حاسرات الوجوه . غير مكرمات كما كن من قبل . تبدو عليهن علامات الشماتة والوهن يثقلهن الحديد . ولا تجف دموعهن حسرة ولوعة على ما صرن فيه من حال سيئة ثم يظهر الشعراء إمعانا فى التشفى مكانة تلك النساء من قبل أسرهن وكيف كن بين أقوامهن معززات مكرمات وهن الآن يقمن بعمل الإماء وما يلحقهن من ذل ومهانة لا حد لها .

ولعل إبداع الشعراء فى تلوين تلك الصورة بالبكاء والنحيب والتضرع يجعل الناس فى فزع نفسى مما تجلبه عليهم الحروب فلا يزجون بأنفسهم ونساءهم فيها .

وهذه صورة لسبايا بنى أسد يصورها النابغة الذبيانى مشبعة بكل المآسى والخزى لا يدركها إلا من كان له قلب أو ألقى السمع إلى نحيب النساء وعويلهن لما صرن فيه بجانب(١) ما أصاب رجالهم من أسر مر المذاق صعب التكير فيه .

ولا تلاقى كما لاقت بنو أسد فقد أصابتهم منها بشؤبوب
لم يبق غير طريد غير منفلت وموثق فى حبال القد مسوب
أو حرة كمهاة الرمل قد كبلت فوق المعاصم منها والعراقيب

---

(١) ديوان النابغة ٤ من العقد الثمين .

تدعو قعينـــا وقد عض الحديد بها  عض الثقاف على صم الأنابيـــب

أما بشر بن أبى حازم فيرسم لنا صورة النساء من بنى عامر وقد سبين وتبدلت حالهن من العز والرفاهية إلى الذل والاستصغار . فليدرك من يقدم على الحرب أن مصيره ومن خلفه من النساء كهؤلاء سواء بسواء . وما تلك الصورة التى يبرزها الشاعر إلا لون من الفخر بقومه . ولكن يستشف الناقد ما خف ألفاظها من أنها محشوة بالمخلفات النفسية للحرب كما عهدنا من قبل عند غيره من الشعراء الذين ينفرون من الحروب . ويندرون من مغبتها .(١)

بنى عامـر إنـا تركنـا نساءكـــم  من الشـل والإيجاف تـدمى عجوبها
عضاريطنا مستبصنوا البيض كالدمى  مضرجـة بالزعفـران جيـوبها
تبيـت النســاء المرضعـات برهوة  تفزع من خوف الجبـــان قلـوبها

أما سعيد بن جؤية الهذلى فيوضح فى لوحة كيف كان مصارع الرجال وأسرهم وسبى نسائهم . وإذا كان القتل والأسر مما تعوده الرجال فى ساحة الحرب . وتعهد به الأبطال وألفت رؤيته النفوس فإن سبى النساء من الأمور التى كان يحرص العربى فى العصر الجاهلى ألا يحدث مثل ذلك الأمر لأهل بيته . فحرى به أن يقطع أو تتخطفه الطير أو تنهشه الضوارى من أن ترى حليلته حاسرة مسبية . فالإباء العربى شيمة الرجال حتى فى أضعف المواقف . وهذا ما صوره الشاعر لهؤلاء النسوة وكيف أصبح حالهن وما أجرموا فى الحرب شيئا ولكن جناية الرجال لحقت بهن :(٢)

وحرة من وراء الكـور واركـــة  فى مركب الكره أو تمشى على جشم

---

(١) المفضليات ٦٤٠ .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٣ .

يذرين دمعاً على الأشفار منحدراً ... يرفلن بعد ثياب الخال فى الردم
فاستدبروهم فهاضوهم كأنهم ... أرجاء هار زفاه اليم منثلم
فلجزوا بأسارى فى زمامهم ... وجامل كحزيم الطود مقتسم

إن هذا السلاح النفسى الخفى الذى تناوله شعراء العصر الجاهلى فى ظمنهم حين تحدثوا عن مواقف السبى من العدة النفسية التى غابت عن علماء النفس الحربى فى العصر الحديث . فليتهم فتشوا عما يدور فى خلد الشعراء من ذكر تلك المواقف وحللوا تأثيرها النفسى على المحاربين والبعيدين عن ساحة القتال ولو فعلوا ذلك لأدركوا أبعاد الإيلام النفسى والإيذاء الإحساسى الذى يشعر به المرء إذا ألم السوء بأهله أو نزل بهم مكروه ، وربما فطن شعراء الجاهلية إلى ذلك من قبل فأذاعوا به .